السنة الاولى   العدد ٦   ١٥ اذار سنة ١٨٩٨

المشرق

التنوير

للاب موريس كولنجت اليسوعي مدرّس الطبيعيات في المكتب الطبي

(تابع لما سبق)

لقد ذكرنا في عدد سابق المبادئ التي يُستنَد اليها في التنوير ثمَّ موازين النور ووَحدة القياس التي يُرجع اليها في تمييز الأنوار. ومدار بحثنا في هذه المقالة على ما يُستصبَح بهِ من ادوات التنوير ذوات اللهيب سواء كانت جامدةً كالشموع او مائعة كالزيت والبترول

١ في الشموع

قد أُطلق اسم الشموع على هَنَاتٍ أُسطوانية الشكل مركَّبة من موادّ تصلح للوقود في وسطها يَحوَرِ ذُبالة او فتيلة من القطن المجدول يَندلق عليها لسان اللهيب وفيها تسيل كما في قناةٍ الموادّ المهيَّأة للوقود ثم تستحيل بعد اتقادها الى غازات

وموادّ الوَقود في الشموع مختلفة هذه انواعها :

اوّلًا الشمع العسَلي — ويكون إمّا طبيعيًّا وهو صُنع النَّحل وبعض الهوامّ من طائفتها وإمّا اصطناعيًّا يسعى بعملهِ ارباب الصنائع. ولا يُستعمل الشمع العسليّ للاستضاءة في غير الكنائس اللهمَّ الَّا نادرًا. فمن ثم أنّنا نضرب عن ذكرهِ صفحًا في هذه المقالة

ثانيًا شمع الشحم — يؤخذ من شحم الغنم والبقر بعد تذويبهِ وتصفيتهِ. وهو بخس الثمن الَّا انَّهُ قليل الضوء كثير التدخين فلا يستحقّ الاعتبار في بحثنا هذا على وسائل التنوير

ثالثًا شحم السمك — يعرفهُ العلماء باسم (spermacété). وهو مركّب من مادَّة دهنيَّة يابسة تُستخلَص من عدَّة حيتان لاسيَّما الأُوال (cachalot) الذي يدعوهُ الطبيعيُّون (physetes macrocephalus) . وربَّما وُجد في اوالٍ واحد بين ١٥٠٠ و ٣٠٠٠ كيلو غرامًا من هذا الشحم

والشحم السمك تهيئة خاصّة وهو يباع في المتجر على شكل قِطَع بيضاء صَدَفيّة فيها بعض الشفافة . والانكليز يتخذون منه كميات وافرة لتركيب شموع الحفلات في أندية الاغنياء والاشراف . فالاستنارة بها اذاً غالية الثمن بيد انَّ الشمعة المركبة من شحم الحوت المعروفة عندهم باسم (Standard candle) لا توازي الَّا شمعةً عشريَّةً وثلاثين قسماً من المائة اعني انهُ يقتضي نور ثماني شمعات من شحم الحوت لمقابلة ضوء مصباح كرسيل القياسيّ الذي سبق وصفهُ (في الصفحة ١٨٤)

رابعاً شمع البارافين — البارافين مادة زفتيّة تتركب من كربور الهيدروجين وتُستخرَج من البترول او من انواع الفحم بالتقطير الناشف . والبارافين اذا استُعملت وحدها تذوب في درجة دانية من الحرارة ولذلك ترى الشموع المصنوعة منها تلتوي بسهولة وتسيل مادّتها . وينبغي للفتيلة ان يكون قُطرها صغيرًا لئلاَّ ينبعث منها دُخان . واذا قابلنا شمعةً من البارافين مع الشمعة العشريّة ذات ضوء ساعة (راجع ص ١٨٤) وجدنا انهُ يحترق تسعة غرامات من شمعة البارافين في كل شمعة عشريّة وثمن ذلك سنتيم واحد و٣٥٠ جزء من السنتيم اعني انَّ ثمن البارافين اغلى من مصباح كرسل بثلاثة اضعاف ومن قنديل البترول بعشرة اضعاف . والشمعة الالمانيّة القياسيّة من البارافين توازي شمعةً عشريّةً و٢٦ قسماً من المائة . وقد اعتاد اليوم عملة البارافين ان يمزجوها بالحامض الستياريك فيُطلق على الشموع المركبة من هذين المزيجين اسم البارافين او الستيارين بحسب القسم الغالب منهما

خامساً شمع الستيارين — انَّ تركيب الشموع الستياريّة مبنيّ على تصبين الدهون بواسطة انواع القلي كالكلس والحامض الكبريتي وغيرهما وذلك ان يُفرز بين ما تحتويه المواد الدهنيّة من الغليسرين وبين الحوامض الدهنيّة كالحامض النخليّ والحامض الزيتي والحامض الستياريك

فبعد ان تُعالَج شحوم الضأن والبقر والخنازير معالجةً كيماويّةً يُفرَز منها بالكبس الشديد سواء كان في حالة البرودة او التسخين ما تتضمّنهُ من الحامض الزيتيّ المائع . ويُجعل المعجون الابيض الباقي بعد هذا العمل بقالب حول الفتائل . والفتيلة مركّبة من القطن المضفور . ولا بدَّ لها من تهيئة خصوصيّة لكي تحترق دون ان يتكوَّن منها بقايا خفيّة ولئلاَّ يضعف ضوءها

وللافاة هذا الخلل تُغمَس الفتيلة في مزيج من الحامض البوريك او تُبَلّ بفُسفات

النوشادر او بماح النوشادر . ويلزم ان يلتوي قليلًا رأس الفتيلة فيميل الى الجانب الاحمى من اللهيب ويفنى بالاحتراق . وينبغي ايضًا لهذه الغاية نفسها ان يكون غِلَظ الفتيلة متوسطًا لانهُ اذا زاد ضخمها كثُر اللهيب وذابت الشمعة سريعًا واذا صغرت قلّ الاتقاد وامتلأ تجويفها من الموادّ المُذابة وسال على جوانب الشمعة . هذا ولا يخلو تركيب الشمعة من الفعل في الاتقاد فيُقتضى من ثمّ انّ يوجد تناسُب بين الشمعة وفتيلتها . وفي الواقع اذا كانت الشمعة من الجنس الدون كالشموع التي لم تكبس بعد تسخين موادّها ترى فيها اجسامًا غريبة بقيت ممتزجة بالحامض الستياريك . وهذه الاجسام تخفف شدّة الضوء وتسبّب سَيَلانًا في الشمعة . ووجود البارافين في الشمعة يجعلها شفّافة لكنّهُ يُذيب الشمع بوفرة فتسيل المادّة سريعًا . وممّا يسبّب ايضًا هذا السيلان بعض العِلَل الخارجة كجرى الهواء ووجود شمعات اخرى قريبة من بعضها وفساد هواء الحجرة بتصاعد الغازات المتّقدة

امّا لهيب الشموع المركّبة من الستيارين فبياضهُ معتدل وهو اقلّ احمرارًا من ضوء الزيت والبترول . واذا قوبلت شدّة سطوعهِ مع الشمعة العشريّة بيّن الامتحان انّهُ يساوي شمعةً عشريّةً وثلاثة وثلاثين قسمًا منها اعني انّهُ يلزم سبع شمعات ونصف من شموع الإتوال (Étoile)(١ لمضاهاة ضوء مصباح كرسيل

والحرارة التي تحصل من اتقاد غرامٍ واحد من الحامض الستياريك توازي عشرة اقيسةٍ من الحرارة (calorie)(٢ وفي الساعة يفنى منهُ عشرة غرامات فتكون الحرارة الناتجة في ساعة مئة قياسٍ من الحرارة . وذلك هو عين الحرارة التي تنبعث من جسم رجل بالغ . اي انّ ما ينبعث من الحرارة مدّة ساعة من شمعة الستيارين ومن جسم الانسان على حدٍّ سواء . ويحصل من مصباح كرسيل المثاليّ سبعمائة قياس حرارة وهذه الحرارة كافية لتسخن سبعة ليترات ماء فتبلغها الى الغليان . والحامض الكربونيك الحاصل في هذه المدّة يبلغ ٣٩ ليترًا امّا ما يحصل منهُ بتنفّس الانسان فلا يزيد على ٢٠ ليترًا

ومعدّل سعر التنوير بالحامض الستياريك اذا اعتبرنا موازاة سطوع ضوئهِ وضوء غيرهِ من الوَقود لا يتجاوز سنتيمًا او سنتيمًا وربع سنتيم في الساعة . يعني ان سعرهُ هو ضعف سعر

١) هو معملٌ في باريس قرب حاجزٍ يدعى الاتوال بهِ بُني اول معملٍ لصنع هذه الشموع
٢) قياس الحرارة هو ما يلزم منها لزيادة درجةٍ من الحرارة في كيلوغرام ماء مقطّر

الزيت وثمانية اضعاف سعر البترول . وزد على ذلك انّ لهيبهُ مُترجرج مضطرب يؤذي البَصَر ولا يصلح للشغل

٢ التنوير بالزيوت الدهنيَّة

انَّ الاستصباح بالمائعات يكون في الغالب امَّا بزيتٍ دهنيّ او بزيتٍ معدنيّ اي البترول

والزيوت الدهنيَّة الاكثر استعمالًا انّما هي زيت السَّلجم المستخرج من نبات السلجم المعروف عند النباتيين باسم (brassica campestris) وزيت الزيتون المستخلص من شجر الزيتون . وهذان الزيتان يُصفَّيان اوّلًا ثم يوقَدان بفتيلةٍ منغمسةٍ فيهما . وتصاعُد الزيت يكون على طريقتين امّا بالجاذبيّة الشعريَّة وامّا بالكبس

والمصابيح القديمة كانت كلُّها من الطرز الاوّل يتصاعد فيها الزيت من الاناء الى الفتيلة على مقتضى مبدإِ الجاذبية الشعريَّة امّا السُّرُج الحديثة ففيها مِدَكّ يتحرَّك كرقّاص الساعات او بواسطة زُنبرك فيضغط المِدَكّ على الزيت فيصعد الزيت . ولهذه المصابيح آلة لتعديل ارتفاع الزيت

واعلم ان السُّرُج ذات الزيوت الدهنيَّة ينحلُّ فيها الزيت بقوَّة الحرارة ولا يحترق في لهيب الفتيلة سوى حصول هذا التحليل . امّا المصابيح ذات الزيوت المعدنيَّة اي البترول فلا تحتاج الى هذا التحليل فانّ البخار الذي يتكوَّن عند اللهيب هو الذي يحترق وعليهِ فيحقّ لهذه المصابيح ان تدعى مصابيح بخاريَّة . وضوء المصابيح الزيتيَّة سواء كان زيتها من السلجم او من الزيتون لطيف عَذبٌ مشوب ببعض الحمرة لا ترجرجُ في لهيبهِ . وتلك اسبابٌ تحمل ارباب الدرس على تفضيلهِ . ومصباح كرسل الذي يوازي ضوءهُ لعشر شَمَعات عُشريَّة يبعث نورًا كافيًا للتنوير البيتيّ ويستطيع الدارس انْ يدرس دون كلل في البحر مدَّة ثلث ساعات مستضيئًا بهذا النور على بُعد نصف متر من السراج . وارتفاع الحرارة على هذه المسافة تبلغ فقط درجةً وخُمس الدرجة واذا قيست الحرارة الحاصلة من مصباح كرسل في الساعة وُجد انّها توازي ٤٢٠ قياسًا من الحرارة ويبلغ الحامض الكربونيك المنبعث منهُ في الوقت ذاتهِ ٥٨ ليترًا وخمس من المائة . امّا ثمن هذه الزيوت فهو مرتفع . فانّ مصباح كرسل المثالي ذا ضوء الساعة يساوي اربعة سنتيمات اعني اربعة اعشار السنتيم لكل شمعة عشريَّة . وهذا هو السبب الذي يرجّح عند كثيرين البترول على الزيوت الدهنيَّة

٣ التنوير بالبترول

الزيت المعدني او البترول هو سائل يضرب الى السمرة القاتمة ذو بريق الى الخضرة ووجوده في الطبيعة كثير والروسية واميركة تتّجران به متجرًا واسعًا لغزارة ينابيعه فيهما (١ ويُستحضر البترول بان يُقطَّر بالتدريج فاذا رُفعت درجة الحرارة من ٤٥ درجة الى ٧٠ حصل من ذلك موادّ سريعة التطاير والالتهاب تنفجر بامتزاجها مع الهواء وتُدعى أثير البترول. واذا زيد في تسخينه من الدرجة ٧٥ الى ١٢٠ يُنال بذلك روح البترول او النفط الذي يُستخدم في المصابيح الصغيرة ذوات الاسفنج. وبتحميته من الدرجة ١٥٠ الى ٢٨٠ يُحصل على زيت البترول المستعمل في التنوير الاعتيادي ولكن لا بدّ من تصفيته. واذا بلغت اخيرًا هذه الحرارة من ٢٨٠ درجة الى ٤٠٠ يُظفر بذلك على اصناف من الزيت اللّزج الثقيل المستعمل في تليين الآلات ولاصطناع البارافين الشفّاف

والشريعة الفرنسية تقسم الموانع من الهيدروكربور التي من جملتها البترول الى قسمين قسمٌ منها يتّقد تحت الدرجة ٣٥. وقسمٌ يلتهب فوق هذه الدرجة. فهذا الصنف الثاني هو الجائز استعماله ملافاةً للاخطار

هذا وانّ المصابيح المعمّرة بالبترول المجهّزة بالفتائل كلّها ذات امتصاص مبنيّة على مبدإ الجاذبية الشعرية وقد ذكرنا سبب ذلك وهو انّ هذه المصابيح تحتاج الى مجرى قويّ من الهواء ليكون الاتّقاد كاملًا واللهيب ساطعًا. ولا بدّ لها من أنبوبة زجاجية. واذا كانت السُّرج ذات فتائل مستديرة يزيد نورها نحو الثُلث على نور الفتائل المسطّحة هذا مع اعتبار تساويهما في الاتّقاد

وضوء البترول يضرب الى الحمرة اكثر من ضوء الزيت. واذا حللتَ نور البترول بالطيف الشمسي وجدت ان الصفرة فيه توازي واحدًا والحمرة ثلاثةً وخمسة اقسام في المائة. وسطوع ضوئه شديد اذ يكفي منهُ ٣٩ غرامًا لمساواة ضوء مصباح كرسل التالي

وللبترول المتّقد حرارة بالغة تجعلهُ من اعظم وسائل الاستدفاء. وهو يقوم في بعض الآلات البخارية وفي المراكب مقام الفحم. واذا قيست هذه الحرارة في اتّقاد مصباح يوازي على التقريب مصباح كرسل وُجد ان ارتفاعها على بعد ٦٠ سنتيمترًا يبلغ

---

١) انّ اغزر البلاد ينابيع البترول الولايات المتحدة ثم الروسيّة ففي سنة ١٨٩٦ استخرجت الاولى منهُ عشرة ملايين متر مكعب والروسية ٧ ملايين

درجتين . امَّا الحامض الكربونيك الذي ينتج من هذا الاشتعال فيبلغ ٤٨ ليترًا في كلّ مصباح مثالي من مصابيح كرسل ذات ضوء الساعة

وفي الاستنارة بزيت البترول مضارّ لا تخلو منها المصابيح غير المتقنة المتهاودة السعر . من ذلك الحرارة العظيمة الناتجة من ايقادهِ ومنها الرائحة السيئة المنبعثة منهُ . وزد على ذلك ما يتجدَّد إثر الاتقاد من الابخرة المتكاثفة . الَّا انَّ كل هذه الاعتبارات لا تقوى على الاسباب الاقتصاديّة لانَّ البترول من ارخص وسائل التنوير لا يتجاوز ثمنهُ سنتيمًا واحدًا في الساعة اذا قوبل بمصباح كرسل القياسي . نعم انهُ يوجد ذرائع اخرى ابخس ثمنًا من البترول كمصباح أُوِر والاسيتيلين والمصباح الكهربائي ذي القوس . ولكن يصعب على كثيرين استعمال هذه الطرائق من الوَقود لما يستلزمهُ وضعها وتركيبها من النفقات الطائلة كما سنبيّن ذلك

فالزيت المعدني هو اذًا في الوقت الحاضر وَقود الجمهور وسيبقى بعدُ على مرتبتهِ زمنًا طويلًا . والتجار الساعون باستخراجهِ او بيعهِ يدَّعون انهُ سيحرز في المستقبل قصبة السبق رغمًا عن مزاحمة بقيَّة اصناف الوَقود بهِ نستصبح وإيَّاهُ نتخذ للاستدفاء واليهِ نرجع في تحريك الآلات البخاريَّة

هذا وان قطعنا النظر عن المستقبل لاعتبار الحاضر يحسن بنا ان نبحث في امر استخدام البترول على طريقة تناسب الصحَّة ولا تُلحق بها ضررًا

نقول انهُ لمن الممكن في الغالب الاحتراز من رائحة البترول الكريهة باختيار المصابيح وإحكام تنظيفها . امَّا ارتفاع درجة حرارته فلا يستحيل ملافاة مضارّها اذا اتُّخذ في التنوير البيتيّ مصباح ذو سطوع كافٍ ليمكن ابعادهُ عن الرأس مع الاستضاءة اللازمة للشغل . وفي التنوير العام يُقتضى إحداث مجرًى حسن من الهواء بالمصباح مع رفع الشعلة الى الدرجة اللازمة للاتقاد الكامل ولا توطًّا الفتيلة حبًّا بالاقتصاد . ويحسن ايضًا لذلك استعمال بعض مصابيح يحلّ فيها الاتقاد بزيادة في تسخين الهواء والبترول المتبخّر يدعوها الفرنج لذلك (Lampes intensives à récupération) . وتُشعل هذه المصابيح بلا فتيلة ولهيبها في الطبقة السُّفلى لا ظلَّ لهُ سوى على السَّقف . وما يوقد في هذه المصابيح من البترول في الساعة يبلغ ليترًا واحدًا الَّا ان ضوءها يوازي ضوء ١٤٠ شمعة (ستأتي البقية)

سلسلة بطاركة الطائفة المارونية

للبطريرك اسطفان الدويهي

عُني بنشرها المعلم رشيد الخوري الشرتوني

ان اول من اهتمَّ بتدوين سلسلة لبطاركة طائفتنا هو الطيب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي (المتوفَّى سنة ١٧٠٤) فقد خلَّف لنا في جملة تركتهِ العلمية رسالة جليلة القدر عُني فيها باثبات اسماء بطاركة الطائفة من عهد ابينا القديس مار يوحنَّا مارون الى أيَّامهِ. ولا اعرف أحدًا قبلهُ من علمائنا اهتمَّ بهذه المسألة كاهتمامهِ بها. وقد وقفتُ على نسختين من هذه الرسالة احداهما محفوظة في المكتبة الشرقية في كليَّة القديس يوسف والاخرى اقدم عهدًا ومنقولة عن نسخة تخصُّ دير اللويزة. وقبل الشروع في ايراد كلام الدويهي لا ارى بدًّا من الاتيان ببعض الايضاحات التمهيدية اتمامًا للفائدة فاقول:

اولًا ان بطاركة طائفتنا المارونيَّة لم يستقرُّوا في مكان واحدٍ بل انَّهم منذ سنة ٦٨٥ للمسيح الى عهدنا الحاضر جعلوا كراسيهم في مواضع متعددة من ابرشيَّات البترون وجُبَيْل وطرابلس. ففي سنة ٦٨٥ للميلاد الالهي كان الكرسي البطريركي في دير مار مارون في قرية كفرحيّ من أعمال البترون ثم نُقل بعد البطريرك جبرائيل الاوَّل الى سيدة يانوح في ابرشيَّة جُبَيل حيث استمرَّ الى سنة ١١٢٠ بعد ان تعاقب عليهِ سبعة عشر بطريركًا. ومنها نُقل ثالث مرَّة الى دير سيدة ميفوق في وادي إيليج التابع للبترون. ونُقل لرابع مرَّة بعد ثلاثة بطاركة توالوا عليهِ الى دير مار الياس في لِحْفِد من عمل جبيل ثمَّ الى دير سيدة ميفوق ثانيةً في رئاسة البطريرك إرميا العَمْشيتي سنة ١٢٠٩ ثمَّ الى دير مار قبريانوس في كَفيفان. ثم الى دير مار مارون في كفرحيّ ثم الى دير مار جرجس في الكَفْر ثم الى دير سيدة يانوح ثم الى دير سيدة ميفوق ثالثةً ثم الى دير مار سركيس في حَرْضِين سنة ١٣٦٧ الى سنة ١٤٠٤. ثمَّ الى دير سيدة قنُّوبين.

وعلى ذلك فيكون بطاركة الموارنة قد غيَّروا مواقع كراسيهم حسب مُقتضيات الزمان اربع عشرة مرَّة. وقد حكم آباء المجمع اللبناني الذي انعقد في دير سيدة اللُّوَيزة عام ١٧٣٦ ان يكون دير قنُّوبين كرسيًا ثابتًا للبطاركة لا يُترك ولا يُنقل الى مكان آخر الَّا عن علَّة داعية وفي مجمع اساقفة وبطريرك

على ان بطاركة طائفتنا اذا كانوا قد عدلوا عنهُ واتَّخذوا السكنى في مواضع اخرى لبعض الاحوال التي اقتضت ذلك فما زالت جميع السجلَّات الخَبَريَّة التي تُرسل اليهم تثبيتًا للبطريركية تذكر هذا الكرسي البطريركي في دير قنُّوبين (راجع المجمع اللبناني قسم ٣ راس ٦ صفحة ٣٩٧)

واقول ثانيًا ان المؤلف لم يتيسَّر لهُ ان يحرّر السنين التي فيها تولى كثيرون من قدماء هؤلاء البطاركة رعاية الشعب الماروني وذلك بسبب تلف الكتب التاريخية من جرَّاء الحروب والاضطرابات غير أنَّهُ لما كان قد طاف بنفسه (كما شهد البطريرك سمعان عوّاد كاتب ترجمتهِ)

كل البلاد التي تقطنها طائفته فتقلّب ما كان باقياً من الكتب في كنائسها او في منازل البعض من أفرادها استمان بما قيّدهُ النسّاخ فيها على إثبات مقصدهِ. لانَّ النسّاخ الكنائسيين في هذه البلاد كانت لهم عادة مستحسنة ولم تزل جاريةً الى اليوم وهي انهم يذكرون اسم البطريرك الذي يكون متولّياً تدبير الطائفة وقت نجازهم من النسخ ويضيفون اليهِ ايضاً اسم المطران الذي يرأس ابرشيتهم الخصوصيَّة

وفي جملة ما تذرّع بهِ لتحرير اسماء البطاركة القدماء وتواريخ قيامهم ما وجدهُ في بعض الكتب مدوناً بخطوط ايديهم الّا انهُ مع ما بذل في هذا السبيل من التنقيب والبحث لم يتمكّن من الوصول الى اسماء جميع البطاركة الذين أقاموا في دير سيدة هابيل بين البطريرك يوحنّا اللحفدي والبطريرك ارميا العمشيتي

وقد قابلتُ كلامهُ مع ما جاء في المجمع اللبناني بشان سلسلة البطاركة فوجدتُ ان آباء المجمع الموما اليهِ قد سلكوا على آثارهِ واستناروا بانوارهِ. وجلّ ما يختلفون بهِ عنهُ هو انهم حذفوا الادلة التي اتخذها الدويهي حجّةً على تأييد غايتهِ

ثالثاً انهُ لما كان المؤلف قد شرح باسهاب في كتابهِ تاريخ الطائفة المارونية كثيراً من المسائل الواردة في هذه الرسالة اكتفيتُ بردِّ المطالع الى المواضع التي ورد فيها بيان المسائل المذكورة من الكتاب الآنف

رابعاً ان السيد يوسف السمعاني صاحب المكتبة الشرقيَّة قد الّف بالعربية نبذة في سلسلة بطاركة انطاكية طبعها في رومية بمطبعة مجمع انتشار الايمان المقدس سنة ١٨٨١ حضرة القس يوحنا نطين الراهب الحلبي اللبناني خادم كنيسة الموارنة حالًا في مدينة ليفورنو بايطالية. وقد عارضتها بما دوَّنهُ الدويهي هنا فرأيت كلام هذين العلّامتين متوافقاً الّا في الامور الآتية وهي ان الدويهي ذكر بعد البطريرك سمعان الذي هو البطريرك التاسع عشر على الموارنة اربعة بطاركة وهم ارميا ويوحنا وشمعون وشمعون وهؤلاء لم يذكرهم السمعاني

ثم انَّ السمعاني ذكر ثلاثة من البطاركة باسم بطرس اقاموا في دير سيدة هابيل بين يوحنَّا اللحفدي وارميا العمشيتي وقد صرَّح الدويهي كما سترى انهُ لم يهتدِ الى اسمائهم

خامساً وذكر الدويهي بين دانيال الشاماتي الحدشيتي الذي هو الثالث والثلاثون من بطاركة الموارنة بطريركاً باسم يوحنّا وهذا لم يذكره السمعاني فيكون بطاركة الموارنة كما عدَّهم الدويهي حتى اتخاذهم دير قنوبين كرسياً لهم اربعين بطريركاً وكما عدَّهم السمعاني ثمانية وثلاثين. وجملة البطاركة الى اليوم على الرواية الاولى واحد وسبعون وعلى الرواية الثانية تسعة وستون. واماَّ البطاركة الكاثوليكيون الذين خلفهم القديس يوحنّا مارون على كرسي انطاكية فكانوا اثنين وستين

سادساً انّي اصلحت في عبارة المؤلف ما خالف أصولَ الاعراب لا غير وتركت الباقي كما صدر من قلمهِ اطلاعاً للقارئ على حال العربية وتاريخ فصاحتها عند اللبنانيين الذين كانوا حديثيّ عهد في كسبها اثر تركهم للسريانية

اما كلام الدويهي في رسالته المذكورة فهذا نصه بالحرف :

ليس المقصود ههنا الإخبار عن جميع الرؤساء الذين تشرَّفوا بولاية كرسي انطاكية مذ بطرس هامة الرسل الى يومنا هذا بل منــذ حدثت الفرقة لا غير فانَّهُ لمَّا اضطربت احوال الشرق وتضعضع رؤساء انطاكية تغلَّب على رئاسة كرسيها ثلاث طوائف منقسمة الى هذا الآن في بلاد الشام اعني الروم والموارنة واليعاقبة

امَّا اليعاقبة فانقادوا الى تعاليم ساويرس الذي في سنة ٥١٢ تملَّك الكرسي الانطاكي وبما انهُ زاغ عن صحَّة الديانة وأفسد الرأي القويم بتعليمهِ انَّ لربنا طبيعةً واحدةً طعنهُ الآباء بالحرم. وفي السنة الثالثة أخلى الكرسي وهرب الى مصر فتسمَّى الذين تبعوا رأيه يعاقبة من يعقوب البرادعي تلميذهِ وجعلوا سكن بطاركتهم في ماردين في دير الزعفران. وامَّا الآباء المهذَّبو الرأي فاقاموا بدل ساويرس بولس البطريرك الارثوذكسي ثمَّ الذين خلفوهُ على الكرسي الانطاكي الى ان تولَّاهُ مقاريوس. فضلَّ هو ايضاً عن استقامة الديانة وصار يعلّم ان بربنا مشيئة واحدة. ولاجل ذلك عقد عليهِ الآباء في القسطنطينية المجمع السادس في سنة ستمائة وخمس وثمانين (١. ومات وعقبهُ (٢ على رضى الاكليروس الانطاكي يوحنَّا السرومي ابن اغاثون وقيل انهُ ابن اليـديوس ابن اخت كارلو مانيو الشريف الجنس الذي قدم من بلاد فرنسة وحكم انطاكية والبلدان الشرقية فهذا البارّ لصحة ديانتهِ دخل بنفسهِ الى رومية وقبل الامفوريون اعني درع كمال الرئاسة من يد البابا سركيس الانطاكي الاصل وعندما رجع الى كرسيه ردَّ كثيرين من اليعاقبة ومن تلاميذ مقاريوس الى الاقرار بالطبيعتين والمشيئتين(٣. وكان في ذلك العصر جالساً على تخت

---

١) والصواب انَّ إفتتاح المجمع السادس المسكونيّ كان في تشرين الثاني سنة ٦٧٩ وانتهى في ايلول سنة ٦٨١ بهِ حُرم مقاريوس بطرك انطاكية لقولهِ بان في المسيح طبيعة ومشيئة واحدة واختار الآباء بدلهُ تاوفانُس بطركاً على انطاكية (راجع المكتبة الشرقيَّة للسمعاني المجلد ١ ص ٤٩٦)

٢) ذكر المؤلّف في هذه الرسالة ان القديس يوحنَّا مارون ترقَّى الى البطريركيَّة بعد وفاة مقاريوس والصواب ان الذي خلف مقاريُوس هو البطريرك تاوفانُس كما مرَّ. ولا شكَّ انَّ الناسخ اسقط هنا ما قد اثبتهُ الدويهي في عرض هذه الرسالة ايضاً كما في بقيَّة تآليفهِ

٣) اعتمد الدويهي في نسب القديس يوحنا مارون على كتاب قديم العهد وجد بخط كرشوني في كنيسة السيدة بدمشق الشام وعلى الاخبار التي أرسلها القس جبرائيل ابن القلاعي الى القس جرجس بن نشارة سنة ١٤٩٠ وطبعها باللاتينيَّة فرنسيس كوارسميوس سنة ١٦٣٤ واخيراً على ما

مملكة الروم يوستينيانوس الاخرم فاطغاه عدو الخير حتى استمال عقله الى زعم رؤساء الكهنة التمسكين بمشيئة واحدة فانشأ الاضطهاد على سركيس صاحب الكرسي الروماني(١ ولاجل ذلك اضطرّ البطريرك يوحنّا ان ينتقل من انطاكية الى دير مار مارون الذي في سوريّة

نقلهُ عبدالله بن الطيّب في كتابه عن الرؤساء التابعين لأمانة الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر وعلى كاتب قصة يعقوب البرادعي وغيره من كتبة اليعاقبة

وذكر في كتابهِ « تاريخ الطائفة المارونية » في الفصل الثامن ان الكتاب القديم الذي وجد في دمشق أوقفه عليهِ رجل من اصدقائه اسمهُ القس ميخائيل المطوشي وهو يتضمَّن كثيرًا من اخبار السلف وفي جملة ذلك القصة المحكي عنها وهذه حرفيتها « كان رأس الأُمة المارونية رجل اسمهُ يوحنا وكان عالمًا كثير الفضائل والمحامد واصله من جنس شريف واسم ابيهِ اغاثون وامه انوهاميا وجده اليديبس ابن أُخت كارلو مانيو ملك فرنسة. ولما قدم هذا الملك بلاد سوريّة وقلّدها جعل اليديبس مقامهُ في مدينة انطاكية فرزق ولدًا سمّاهُ اغاثون ولماَّ شبَّ اغاثون وتزوج ولِد لهُ ولد سمّاهُ يوحنًّا فتأدب يوحنًّا هذا بالعلوم الروحانية ومهر بالتفاسير الانجيلية وبرع في العلوم السريانية وتمنطق بنطاق النسك والعفاف وأُقيم اخيرًا بطريركًا على الامة المذكورة ». وظنَّ الدويهي ان هذا الكلام هو لابن الطيب

وسواء كان لابن الطيب او لغيره فانهُ مبهم يصعب ايضاحه لأنّ كرلو مانيو توفي سنة ٨١٤ ولم يرد في تاريخ من التواريخ لاعنهُ ولا عن اليديبس وأغاثون انهم اتوا الى سورية. وقد قال الدويهي نقمهُ بمثل هذا وذهب الى أن القصة يمكن ان تكون منسوبةً الى غير هذا الامير او انها صادقة على احد اقربائه الذين سلفوا قبل ان يضبطوا ملك فرنسة. والله اعلم

واما سفر القديس يوحنا مارون الى رومية بصحبة قاصد البابا سركيس او سرجيس وقبولهُ منهُ درع كال الرئاسة فقد اثبتهُ الدويهي ايضًا في الفصل المذكور واستند في ذلك على القصة القديمة التي سبق ذكرها وعلى شهادة جبرائيل القلاعي الماروني ويوحنّا شيواريوس من ويرا في الفصل ٢٧ من كتاب سفره الى اورشليم. واما السيد يوسف السمعاني فقد ارتأى عكس ذلك كما يظهر من مراجعة المجلد ٤ راس ٢٠ ص ٤٠٤ من مكتبة الناموس القانوني والمدني والمجلد ١ ص ٥٠٣ من المكتبة الشرقية. امَّا البطريرك يوسف اسطفان فقد ذكر في تأليفه « قداسة يوحنًّا مارون » قصة عن سنكسار للموارنة قديم وبرهن انهُ كان منهُ نسختان بالخط الكرشوني في مكتبة مار بطرس في روميـة تحت عدد ٢٧ و٢٨ وتخبر هذه القصة عن ذهاب يوحنا مارون الى رومية وتكريم البابا سرجيس لهُ وايد ذلك ايضًا بشهادة يوحنا شيواريوس المارّ ذكره وشهادة الاب ايرونيموس دنديني اليسوعي

١) لا يذكر احد من المؤرخين انَّ يوستينيانوس الثاني الاخرم اضطهد البابا سرجيس وغيره من الآباء لقولهم بالمشيئتين بل لاسباب أُخر لا يسعنا ان نذكرها هنا اخصُّها لأن البابا سرجيس لم يرضَ باثبات اعمال المجمع المعروف بكوينيسكست الذي بُحِثَ فيهِ حقوق الكرسيّ الرسوليّ

على النهر العاصي ومن هناك الى بمار جبيل التي في عمل البترون. واما جيش الروم فما زال يقتل ويحرق ويسبي في بلاد سورية وفونيقية حتى ان لاون القائد (١ وضع يده على الملك وقطع أنفه وحطهُ عن الملك وارسله الى النفي في شرصونة (بلاد القريم) وكذلك اهالي جبل لبنان وثبوا على جيش الروم فقتلوا قوادهم وشتتوا شملهم والذين بقوا هزموهم هزيمة قبيحة. ومن ذلك العصر حصلت الفرقة بين الملكية الذين تمسكوا برأي الملك وبين الموارنة الذين من يوحنا مارون تسموا موارنة واستمروا على الديانة المهذبة وفي الاتحاد مع الكنيسة الرومانية (٢

وما زال يوحنا مارون يجاهد اشرف المجاهدات في انشاء الكنائس وبنيان الكهنوت وتهذيب الرعايا ونظم الرتب البيعية حتى اكمل سعيهُ بكل قداسة في قرب سنة ٧٠٧ ودفن في دير مار مارون الذي في ارض كفرحي من عمل البترون

ثم خلفهُ ابن اخته كوريوس (٣ الذي بعث كما هو محرر في قصة خاله فطلب التثبيت من صاحب الكرسي الروماني وساس قومه سياسة الابرار الى آخر حياته. ثم عقبهُ في الرئاسة على كرسي انطاكية جبرائيل على ما وجدنا في النسخ القديمة

واما الملكية فانهم رجعوا بعد موت يوستينيانوس الاخرم الى الإقرار بالطبيعتين والمشيئتين (٤ وفي زمان الملك قسطنطين قوبرونيموس اقاموا لهم بطركا على كرسي

---

١) هو البطريق لاوُنس (Léonce) كان حاجباً ليوستينيانوس الاخرم وتولّى قيادة الجيش فخانهُ الملك وهمَّ بقتلهِ فسبقهُ لاوُنس وامره ثمَّ قطع انفهُ ونفاهُ الى بلاد شرصونة (القريم) سنة ٦٩٥. امَّا يوستينيانوس فعقد عهدًا مع ملك البلغار واسترجع بمساعدتهِ ملكهُ وقتل لاونس سنة ٧٠٥ وكان آخر ملك يوستينيانوس سنة ٧١١ قتلهُ بردانس الملقَّب فيلبكس

٢) انَّ كثيرين من الكُتَّاب يرون ان اسم الملكيين لقبٌ عيَّر بهِ اليعاقبة آباء المجمع الخلقيدوني وأتباعهم لموافقتهم لقول مرقيان الذي سعى بجمع هذا المجمع ضدَّ اوطيخا. امَّا السمعاني فانَّهُ ارتأى انَّ هذا الاسم وُضع للدلالة على غرض مدنيّ (راجع حاشيةً مطولةً في هذا الصدد ذيَّلنا بها تاريخ الطائفة المارونية للدويهي ص ٨٣ – ٨٦)

٣) وجاء في المجمع اللبناني «قوروس» وفي تاريخ الطائفة المارونيَّة «قورش» وليس تحت هذا الاختلاف اللفظي اهمية

٤) انَّ قوماً من الروم تبعوا مقاريوس اسقف انطاكية في ضلالهِ بعد ان حُرم في المجمع السادس. ألا انَّ هؤلاء لم يدعَوا بملكيَّة

انطاكية (١ وجعلوا مقام رؤسائهم في مدينة دمشق الشام الى وقتنا هذا

ومن بعد جبرائيل صار يوحنا الذي تكنّى هو ايضاً باسم (مارون) وترهّب في دير مارون الذي على النهر العاصي وقد كتب عنهُ ابن القلاعي في الميمر عن الجامع قائلاً :

وبعده قام مارون ثاني من الدير الرّباني معلم شاطر ملفاني يُدعى يوحنا البار وقد جاء ليانوح وبطرك كان وسكنه في جبل لبنان وايمان مارون ما تغيّر

وعند ما دنا هذا من الموت أخلى الكرسي الى يوحنا آخر كان أصلهُ من قرية دملصا من عمل جبيل كما هو مرقوم في الاخبار القديمة عن يوحنا الذي تقدّم ذكرهُ أنهُ لما قارب الموت جمع جميع كهنة جبل لبنان واقام لهم بطركاً بدالهُ يُدعى يوحنا من قرية دملصا

فهولاء البطاركة الخمسة المتقدّم ذكرهم أمرهم واضح انهم كانوا مقيمين في جبل لبنان وانهم تخلفوا بعد تاوفان من الرسالة التي في سنة الف واربعمائة وخمس وتسعين شيّعها جبرائيل ابن القلاعي الى القس جرجس بن بشارة (٢ في الفصل الحادي عشر ووجدنا ايضاً ذكرهم في كرّاسة سريانية كانت عند سالفنا المنفور لهُ البطريرك جرجس من قرية بسبعل قد نسخها داود بن ابرهيم في سنة ١٦٢٤ لليونان فتكون أقدم من تحرير ابن القلاعي بمئة وثمانين سنة وفي نُسخ أخرى عرضها علينا اخونا المطران جرجس ولد حبقوق وغيره

(ستأتي البقية)

---

١) لم تنقطع سلسلة بطاركة انطاكية للروم بعد مقاريوس . وقد خلفهُ كما مرّ تاوفان ثم اسكندر الثاني ثم توما ثم جرجس الثاني وخلا بعدهُ الكرسيّ مدّةً لم يسمح خلفاء اميّة بتعيين خلفهِ الى سنة ٧٤٢ (راجع لوقيان في الشرق المسيحي الجزء الثاني ص ٧٤٣ واعمال القديسين للبولنديستيين الجزء الرابع من تموز) . امّا اهل لبنان فلما رأوهُ من صعوبة المخابرات مع خلفاء مقاريوس وهم مقيمون في القسطنطينية طلبوا الى الكرسي الرسوليّ ان يقيم عليهم بطركاً مستقلاً يدافع عن ايمانهم ويحفظهم في الاتحاد مع الكنيسة الرومانية فاتفقوا على اختيار القديس يوحنا مارون (راجع الصفحات ٥١ و٦٢ من تاريخ الطائفة المارونية)

٢) كان القس جرجس بن بشارة في اول امره مارونياً لكنهُ عدل اخيراً الى البدعة اليعقوبيّة فنظم لهُ الاسقف جبرائيل ابن القلاعي كتاباً مستقلاً ينقض فيهِ المذهب اليعقوبي وكان ذلك سنة ١٤٩٥ (تاريخ الطائفة المارونيّة ص ٦٣)

الحُسبة

لحضرة الاب انستاس ماري دي سنت ايلي الكرملي البغدادي

الحُسْبةُ بضمّ الاوَّل واسكان الثاني وفتح الثالث ابيضاض الجلد من داء تفسد به شَعْرتُهُ وتصير بيضاء. هذا هو تعريف الحُسْبة على ما نصّ بهِ المحدثون وهو داء يصيب بعض الناس فيجعل الجلد ابيض كامنًا تفسد بهِ الشعرة ويتلوّن البؤبؤ بلون احمر مشبع والقُزحيَّةُ بالشُّكلة. فتُصبح العين عاجزةً عن تحمُّل ضوء النهار لتخلُّل النور إيَّاها وعليهِ فالحُسب (جمع أحسَبَ وهو من الحُسْبة) يرَوْن في العَشوة احسن منهم في رائعة النهار. وهذا الشوَهُ يكون غالبًا ولادةً وهو ينجم عن نقصان او عن خلوٍّ تام للمادَّة الملوَّنة في الجلد والشعر المسمَّاة بالخِضاب الجلديّ (Pigmentum). وتنزل هذه الآفة في كل صقعٍ ونادٍ ونجدٍ ووادٍ وليست مخصوصة بجيل من اجيال الناس كما زعمت جماعة. فالحسب هم في افريقية بين السود كما في اوربة بين البيض وهي في اسية كما في اميركة واوقيانية. وهذا الامر ليس بمنكرٍ اليوم فان من السود من تسمَّوا بالسود البيض وفي بلدتنا الزوراء اثنان من الحُسب يسميهم العامة عندنا برْشًا للواحد منهما. وهي على ما اخال تصحيف الابرش لما يرى في المُصاب بهذا الداء من شبه البرش او البرص.

اما الحُسْبُ الذكور فانهم بوجه العموم عديمو القوَّة التوليديَّة بخلاف النساء. والحسبة تكون جزئيَّة وعامَّة. فاذا جاءت جزئيَّةً ربَّما جاء الشعر يضرب الى الشقرة وربما اصابت عضوًا وتركت جارحةً فاصبح الآدميّ كالأبرص. والحسبة كثيرة الوقوع في الحيوانات فانك تشاهد ذلك في الكبار منها كما في الصغار فترى من بين ذوات الاثدي في الفيل الى بعض القرد والوثنيين كما في الدَّرص البيضاء وكذلك ترى في كل ما يجيء بينهما من بعيرٍ وبقرة وظبي وارنب وخِنَّوص هندي وخُلْد الخ. وقد تحقق وجودها بين الطيور ايضًا فترى في الغراب والعقعق والشُّحرور والنُّغَر والبط الوحشي والعصفور الخ. وزد على ذلك انهُ قد تحقق وجودها ايضًا في الارماهيج والسرطان وتسمَّى هذه العلَّة بالفرنسويَّة (Albinisme) والاحسب (Albinos). وهي ضدّ الشَّيَم وبالفرنسية (Mélanisme) وهي في العربية مصدر شامَ فلانٌ اي ظهرت بجلدهِ الرقمة السوداء على ما قالهُ جمهور اللغويين. الّا ان

معنى الحرف الفرنسي اعمّ من العربيّ غير انهُ لمّا كانت الشامة من فصل (الميلانسم) جاز تسميتها بالعربية شيئاً من باب تسمية الكل باسم الجزء. وهو قياسي وامثالهُ كثيرة في العربية. وهو في الاصطلاح: تلوّن غير عادي محلّد يمتاز في الخارج بلون اسود او قتم في الجلد والشَعر والقزحيّة وهو يعرض اثر افراط الخضاب الجلدي وقد تظهر هذه الآفة في بعض الحيوانات كالاسد والثعلب والقُندُس. واغلب ظهورها في الانسان يكون شامةً ويتغيَّر لونها من الطلسة الى الحُلكة

وربمَّا وُجِدت الحسبة في النبات ايضاً لتشابه الاعراض وهو يكون بخلوّ الخُضُوب منهُ (وهي المادة الملوِّنة في النبات وبالفرنسية chlorophylle) وحينئذٍ تسمَّى هذه الآفة بالخَضَد عند النباتيين وبالفرنسيّة (Albinisme végétal)

ولا يظنَّنَّ قوم ان الحُسبة هي كلمة حديثة الوضع عند العرب بل انها معروفة عندهم ومذكورة في كتبهم بهذا المعنى. وقد قالوا بوجودها عند الانسان والحيوان والطير وقد عرفوا انها تعمّ الجسد او تخصُّهُ. واليك بيان ذلك

قال الدميري في كتابهِ حياة الحيوان الكبرى في عرض كلامهِ عن البُوه (ويُقال بوه وبُوهة) ما نصُّهُ: «قال امرؤ القيس:

«ايا هند لا تنكحي بُوهةً عليه عقيقتهُ أحسبا»

«الاحسب من الناس الذي في شعرهِ شقرة (وهذا اشارة الى ان الحسبة لا تعمّ الجسد الّا الشعر) وصفهُ باللؤم والشحّ. يقول كأنهُ لم تحلق عقيقتهُ في صغرهِ حتّى شاخ وقيل انهُ الرجل الضعيف الطائش (وهنا فسّر الاحسب بخاصيتهِ اي انهُ ضعيف طائش وهو صحيح كما هو معهود في الحُسب) والبوهة ما طارتهُ الريح.......... وقيل الاحسب الذي ابيضّ جلدهُ من داء ففسدت شعرتهُ فصار احمر وابيض (وهنا بيّن انّ الحسبة تكون عامةً في الجلد والشعر). ويكون ذلك في الناس والابل (وهذا يُفصح عن ان الحسبة تكون في الناس والحيوان). وقيل الاحسب الابرص (وهذا يُشير الى ان الحسبة ربما اصابت مكاناً من الجسد ولم تصب مكاناً آخر فيصبح صاحبهُ كالابرص.ثمّ) لما قال امرؤ القيس لهند: «لا تنكحي بوهة... احسبا». اراد بذلك ان لا تقرب رجلًا ضعيفاً طائشاً كالبوهة الحسباء.

فترى من كل ذلك بانّ العلة هي واحدة وانما فسّرت بانواع متلوّنة. وبهذا الخصوص

اقول انَّ مثل ذلك في كلام الناطقين بالضاد كثيرٌ. اي انهم يعرّفون الشي. تارةً بوصفهِ الخارجيّ واخرى بوصفهِ الداخلي وطوراً بوصفهِ الادبي وآونةً بخواصهِ ومرةً بظواهرهِ واحياناً باعراضهِ ومن لا ينتبه الى هذه الاوجه في الانتقاد يقع في الارتباك والاشتباك. اذ ان من هذه المعرّفات ما هي عامّة في الجنس وليست بمميّزة للفرد كما قد ورد في علم المنطق. والسلام على من اتبع الهدى

موافقة بين آيتين متناقضتين في الانجيل

للاب الفونس ڤان دن هوڤن اليسوعي

لقد ورد في الكتاب المقدّس بعض فقرات مُشكلة وآيات مُبْهَمة اعتاص شرحها على المفسّرين حتّى اضحت لهم كعراقيل يلقون في حلّها عَرَق القِرْبة. لأنّهم يعلمون من جهة حقّ العلم انّ الكتاب مُنزَّل في كلّ اقسامهِ كما قرَّر ذلك المجمع التريدنتيني (١ (الجلسة الرابعة). ومن جهة اخرى تحول دونهم بعض اقوال الاسفار الالهية فيها شبهُ تناقض كأنّ الروح القدس صاحب الوحي يقرّر في مكانٍ ما ينكرهُ في آخر. فلا يبقى لهم اذ ذاك ليتملّصوا من هذه المشاكل سوى ان ينعموا النظر في نصّ الكتاب ويسبروه بمعيار التروّي والحكمة ثم يحاولوا وجود طريقةٍ توافق بين الآيات الشتّى فيُصرّح الحقُّ عن محضهِ

وربّما سعى المفسّرون في بيان بعض المشاكل العويصة فوجدوا في فكّها عدّة وسائل فلا بأس اذ اذاك إن آثر العقلُ منها ما رآهُ اقوى بُرهاناً ونبذ ما لم يرضَ بهِ. هذا وللاقدمين كتابات واسعة في شرح هذه المناقضات الظاهرة نخصُّ منهم بالذكر القديس الجليل اوغسطينوس ولهُ تأليف دعاهُ الموافقة بين الانجيليين

وكان هذا اللفان الخطير يُعدّ من اعظم المشاكل آيةً وردت في اناجيل البشراء الثلاثة متّى ولوقا ومرقس وهي قولهُ تعالى لتلاميذهِ

١) لكنّنا نسلّم انّ النسّاخ شوّهوا بعض آيات فسخوها بنقلهم ولذلك قد ورد لها روايات مختلفة لا نقطع بصحّة بعضها الا اذا شهدت لها الكتبة او النُسَخ الاصليّة. على انّ هذا التحريف الطارئ على بعض الآيات لا يمسّ صحّة الاسفار الالهيّة المقرّرة في المجمع التريدنتيّ ولا يمسّ في تنزيلها لان الله عزّ وجلّ انما ضمن حفظ صحّة الآيات المتعلّقة بالايمان والآداب ليس الّا

(متّى ١٠ : ٩, ١٠) لا تقتنوا ذهبًا ولا فضّةً ولا نحاسًا في مناطقكم ولا مزودًا للطريق ولا ثوبين ولا حذاء ولا عصًا

(لوقا ٩ : ٣) لا تحملوا في الطريق شيئًا لا عصًا ولا مزودًا ولا خبزًا ولا فضّةً ولا يكن لكم ثوبان

(مرقس ٦ : ٨, ٩) واوصاهم ان لا يأخذوا شيئًا للطريق الّا عصًا فقط . لا مزودًا ولا خبزًا ولا نحاسًا في مناطقهم بل يحتذوا بنعالٍ ولا يلبسوا ثوبين

وهذه الترجمة العربيّة مطابقة للاصل اليوناني حيث جاء (μηδὲ ῥάβδον و εἰ μὴ ῥάβδον μόνον) ومثلهُ الترجمة السريانيّة البسيطة (ܠܐ ܡܕܡ ܐܠܐ ܐܢ ܫܒܛܐ ܒܠܚܘܕ)

فيظهر من كل هذه النُّصوص انّ التناقض بيّن فيها ظاهر اذ ينسب للربّ ممّا قولهُ : « لا تقتنوا او لا تحملوا ولا عصًا » وقولهُ : « لا تأخذوا الّا عصًا فقط »

فان تصفّحنا كتب المفسرين والآباء القديسين وجدنا لهم شروحًا مختلفة لكشف ما غمض من مأخذ هذه الآية . ومنهم من عدل عن رأيهِ الاوّل في شرح هذا المعضل الى رأيٍ آخر رجّحهُ بعد الفحص والتروّي كما فعل في زماننا احد ائمة المفسرين الاب كنابنباور فانّهُ ارتأى في كتبهِ الحديثة خلاف ما دافع عنهُ سابقًا

امّا نحن فاحببنا ان نعرض هنا ملخصًا على القرّاء ما جاء في هذه الآية من التفاسير المتباينة ثمّ نشفع الشرح الاخير بملاحظاتٍ من شأنها ان ترجّحهُ على الآراء السابقة . وغاية مرامنا ان يجد القارئ بين هذه الاقوال ما يقنعهُ في شرح الآية المذكورة

١ فالرأي الاوّل وهو اقدم ما ورد في تصانيف الآباء قد سبق اليهِ القديس اوغسطينوس في كتابهِ الثاني من الموافقة بين الانجيليين . ومرجع قول هذا الامام الجليل الى انّ لفظة « العصا » في متّى ولوقا يراد بهـا المعنى الحقيقي . وفي مرقس المعنى المجازيّ يفهم بهِ السلطـة . وعليهِ قد فسّر القديس الآنف ذكرهُ هذه الآية بقولهِ : على الرسل ان يذهبوا بما خوّلهم فقط من السلطان لبشارة الانجيل والدعوة الى دين المسيح ولا يبالوا بشيءٍ آخر من امور هذه الدنيا لا بالمال ولا المقتنيات ولا لبس الثياب حتى ولا اخذ عصًا لانّ الربّ فرض على من يسمعهم بان يقوموا بمعاشهم وحاجاتهم « لانّ الفـاعل يستحقّ طعامهُ » (متّى ١٠ : ١٠)

وعليهِ فيكون تمام قول الربّ في مجموع الاناجيل الثلاثة لأنّهُ يأمر تلاميـذهُ ألّا

يأخذوا شيئاً للطريق مهما كان ولو عصاً (متى ولوقا) بل يكتفوا بعصا السلطة للتعليم والارشاد (مرقس). غير انَّ البشيرَين الاوَّلين يشيران في معرض كلامهما الى هذه السلطة الروحيَّة التي خوَّلها الربُّ رسلهُ بينما مرقس يشير الى التجرُّد حتى عن عصا الطريق بقوله «اوصاهم ان لا يأخذوا شيئاً»

٢ (الرأي الثاني) هو الذي رجَّحهُ مُذيّل ترجمة الكتاب المقدَّس المنشورة في مطبعتنا اخذهُ عن عدة مفسّرين فقال ما نصُّهُ: جاء في انجيل متَّى «ولا عصاً» وفي انجيل مرقس انَّهُ اوصاهم أن لا يأخذوا «الَّا عصاً» فظاهرهُ تناقضٌ صريح الَّا انَّهُ ليس بهِ لانَّ من العصا ما تكون علامة للعلم والسلطة وهي التي حرَّمها المسيح هنا ومنها ما يستعملها المسافر وهي التي اوصاهم بحملها في مرقس (اه)

فهذا الرأي كما ترى هو عكس قول القديس اوغسطينوس لأنَّهُ يجعل لفظ العصا مجازيًا في متَّى ولوقا. وحقيقيًا في مرقس فيحرّم المسيح على تلاميذهِ استعمال الوسائط البشريَّة في دعوة الشعوب الى الخلاص (متَّى ولوقا) ويأذن لهم فقط باخذ عصاة المسافر (مرقس)

٣ (الرأي الثالث) لكُرْنيليوس الحَجَري اليسوعي وهو كما لا يخفى من ائمة مفسّري الكتاب الكريم. وهذا الرأي لا يخلو من الصحَّة كما سترى ولهُ علاقة مع الرأي السابق

يقول الشارح انَّ للفظة العصا في اليونانيَّة (ῥάβδος) ثلاثة معاني. اولها ما يُتوكَّأ عليهِ. ثانيها الاداة التي بها يدافع الانسان عن نفسهِ او يعاقب المجرمين. وهذان المعنيان يوافقان للفظة العبرانيَّة (משען) (مِشعَن). امَّا المعنى الثالث فهو الصولجان وقضيب السلطة يطابقهُ في العبرانيَّة لفظ (שבט) (شِبِت) فينهى الربُّ تلاميذهُ عن استعمال عصا العِقاب والمِخصَرة رمز الشرف (متَّى ولوقا) ولا ينهاهم عن اتّخاذ عصاً يتكئون عليها في طريقهم

ولعلَّ قائلًا يقول كيف امكن المسيح ان يشير الى عصاة المُعاقبة او قضيب السلطة ورسلهُ قومٌ سُذَّج لم يدركوا هذه الاشارات الخفيَّة. نقول ليس الامر بمستبعد كما يُظنّ لانَّ الرُّسل كجميع اليهود كان يرون بينهم رؤساء الرومان وولاتهم يتقدَّمهم جنود حاملين السياط او العصي دلالةً على مناصبهم الرفيعة يُدعَون لذلك حاملي العصيّ (ῥαβδοφόροι او ῥαβδοῦχοι). وكان ايضاً الربّيُّون بين اليهود كما شهد لِيرانوس يمسكون بايديهم عصاً تُؤذن بمقامهم. ونرى عند قدماء العرب ما يشبهُ هذه العادة فكان الخطباء في ابَّان

كلامهم يمكون عصاً حتّى صارت عندهم عصا الخطيب رمزًا عن سطوته وقدرته (راجع الصفحة ٣٢ من كتاب العصا لاسامة بن منقذ طبعة المعلّم دِرِنْبُرغ) . وجاء في اخبار قسّ بن ساعدة انهُ ربّما استبدل العصاة بسيف كان يقبض عليهِ في خطبهِ (راجع ص ٢١١ من كتاب شعراء النصرانية)

فيظهر ممّا سبق انهُ ليس في معاني العصاة الآنف ذكرها من الغرابة ما كان يفوق ادراك التلاميذ . ولعلّ الربّ في اللغة الآرامية التي كان ينطق بها اشار الى هذه المعاني بالفاظ مختلفة تُشعر بغاياته

٤ هذا وقد عرض غروسيوس احد علماء البروتستنت الهولنديين شرحاً رابعاً لهذه الآية نوردهُ على علّاتهِ قال : انها لعادة جرت في الشرق انّ المسافرين يحملون على كتفهم فضلًا عن عصاة الطريق عصاةً أُخرى يعلّقون عليها لوازم سفرهم كزوج نعال او ثوب او طعام . فقول الربّ في انجيلَي متّى ولوقا يشير الى هذه العصاة دون الاخرى لانّهُ لمّا اوصاهم جلّ ذكرهُ بان لا يهتمّوا في طريقهم بامر المال واللبس والاكل لم يُعدْ يبقى داعٍ لهذه العصاة . امّا عصاة السفر فلم ينهَهُ عن حملها في الطريق وايّاها اراد الربّ في انجيل مرقس . واستند غروسيوس في قولهِ هذا الى نصّ لوقا اليوناني الاصلي وفيهِ « ῥάβδους عصيّ » على لفظ الجمع لا « ῥάβδον عصا » على الافراد

٥ وقد ذهب الى رأي خامس منذ عامين احد علماء رهبانيتنا الذي قضى بضعة سنين في الشرق . فانّهُ كتب في مجلّة الابحاث الدينيّة (Études Religieuses, oct. 1895) مقالةً في شرح هذه الآية على نوع مبتكر . ويختلف تفسيرهُ عن التفاسير السابقة بانّهُ لا يعتبر ما للعصاة من المعاني بل يبحث عن معنى حرف النفي في قولهِ تعالى بمتّى ولوقا « ولا عصا » وعن اداة الاستثناء في قولهِ بمرقس « الّا عصاً فقط » . فيقول ان للاداتين كلتيهما معنًى واحدًا

وان اعترض عليهِ احدٌ قائلًا انّ النصّ الاصليّ اليوناني لا يقبل هذا الشرح لما يوجد من المعاني المتباينة بين « εἰ μὴ » النافية وبين « εἰ μὴ μόνον » المستثنية فيجيب انّ لغة العهد الجديد وان كانت اليونانية الّا انّها يدخلها كثير من التراكيب الاعجمية لانّ الانجيليين كانوا عبرانيين لم يحسنوا التكلم باليونانيّة ولذلك كثيرًا ما دخل في كتاباتهم من التصاوير والتعابير الاجنبية المأخوذة من اللغة الآرامية التي تعلّموها في حداثتهم . ونعلم انّ

الله في وحيهِ لهم لم يُرد ان يبدل لهجتهم او طريقة انشائهم. فينتج من هذه الملاحظة انَّ عباراتٍ كثيرة في الكتاب الكريم لا يُطَّلع على معناها الحقيقي الَّا بمعرفة اللغات الساميَّة كالعبرانيَّة والآراميَّة

فبعد هذه المقدّمات يحاول الشارح الآنف ذكرهُ ان يبيّن انَّ العبارة « εἰ μὴ ῥάβδον μόνον الَّا عصاً فقط » في انجيل مرقس يمكن ترجمتها بقولنا « ولا عصاً فردًا » فيعود من ثمَّ لا خلاف بين مرقس والانجيليين الآخرين. واخصّ الحجج التي يبني عليها زعمهُ انَّهُ جاء في بعض آيات الكتاب ما يُسوّغ ترجمة (εἰ μὴ) الاستثنائية بحرف نفي فنعرّبها بقولنا « ولا » بدلًا عن « الَّا ». امَّا لفظة « μόνον » المترجمة في العربيـة بفقط فيسوغ ان تعرَّب بالفرْد. فيصير معنى الآيَة في مرقس « ولا تأخذوا ولا عصاً البتَّة » او « حتى ولا عصاً » وهذا عين قول متّى ولوقا

نقول ان حَقَّ قولُ صاحب هذا الرأي فقد حُلَّ المشكل تمامًا ولم يبق لخلاف مكان الَّا انَّنا لا نزال نشكُّ في صحَّة هذا التفسير. وذلك اوَّلًا لانهُ لا يوافق اقدم ترجمات الكتاب الكريم كالنسخة السريانية البسيطة مثلًا حيث لا سبيل لتعريب ما جاء فيها [illegible] « بغير معنى الاستثناء. ثانيًا وان سلَّمنا بانَّ حرف « εἰ » يدلُّ على التاكيد اذا كان منفردًا فاننا لم نجد سواء كان في الكتاب الكريم او في تآليف ادباء اليونان شاهدًا واحدًا على اجتماع هذين الحرفين « εἰ μὴ » بمعنى آخر غير الاستثناء. ثالثًا اذا اعتبرنا اللغة العبرانيَّة نفسها وجدنا ان ما يوافق هذين الحرفين فيها يدلُّ بلا ريبٍ على الاستثناء لا على النفي. وزد على ذلك انَّ القديس مرقس قد استعمل هذه العبـارة في غير هذه الآيَة بمعنى الاستثناء ليس الَّا .

٦ — بقي رأي سادس ارتآهُ العلَّامة الشهير الاب مَلدُنات اليسوعيّ وهو على ظنّنا الارجح فهاك قولهُ ملخصًا نشفعهُ ببعض ملاحظات من شأنها ان تبيّن صحَّتهُ

قال الاب ملدونات: انَّ غاية المسيح في كلامهِ هذا الى رسلهِ انَّما كانت ان يلقّنهم الزُهد في الدنيا والتجرُّد من كل شيء. فهذا الامر قد ادركهُ الانجيليُّون حقَّ الادراك لكنهم قد عبَّروا عنهُ بنوعين ظاهرهما متناقضٌ وحقيقتهما واحدة. وهاك بيان ذلك

ما من احد ينكر انَّ عدم امتلاك عصاةٍ من علامات الفقر كما يستدلُّ على ذلك من قول متّى ولوقا . لكنى اقول انَّ اتخاذ عصاة فقط لا يُراد بهِ ايضاً

سوى الدلالة على الزهـد والفقر

واوَّل شاهد على ذلك ما جاء في الاسفار الكريمة (التكوين ٣٢ : ١٠) على لسان يعقوب يخاطب الربَّ: «انا دون ان استحقَّ جميع ما صنعتَ الى عبدك من المراحم والوفاء لأني بعصاي عبرتُ هذا الاردنَّ والآن قد صار لي فرقتان . . .». فتُرى ماذا يريد يعقوب بقوله «بعصايَ عبرتُ هذا الاردنَّ» سوى ان يبيّن ما كان عليهِ من الفقر والمسكنة كما يظهر جليًّا من قرينة الكلام. فلِمَ لَمْ يستطع القديس مرقس ان يعبّر عن الامر نفسهِ باتخاذ العصاة. لاسيَّما انهُ لا يقول كالقديس متى: «لا تقتنوا . . . ولا عصاً» لكن «واوصاهم ان لا يأخذوا . . . الَّا عصاً» اذ يمكن استخدام العصا للطريق دون امتلاكها وذلك ممَّا لا يخلُّ بالفقر الكامل ولا ذرَّةً

اقول ثانيًا انَّ اتخاذ العصا عند كثير من امم الشرق رمزٌ الى الزهد والتنسُّك كما نرى ذلك كلَّ يوم في طوائف الدراويش الذين لا يحملون غير عصاة الطريق وقصعة الكُدْية فمن رأى ذلك في يدهم لا يشكُّ في فقرهم. فأمكن اذن ان يشير القديس مرقس الى هذا التجرُّد بذكر العصا فقط

اقول ثالثًا ان الاوربيين نفسهم ربَّما اعتبروا العصاة كشارة الفقر المُدقع. فمن ذلك انهم كانوا اذا ارادوا الحجَّ الى الاراضي المقدَّسة اتخذوا العصاة وتقلَّدوا السبحة وساروا يستعطون في طريقهم. وكان من رآهم يأويهم لوجه الله ويتصدَّق عليهم. وصار كذلك في لغة الافرنج يضرب في الفقر وقد جاء في بعض امثال الافنتين الشاعر « gens portant bâton et mendiants » فكنى بجملة العصاة عن الفقراء كما يلوح ذلك بديهيًا من القرينة. وقد جاء في عبارة اخرى افرنسية «انَّ فلانًا خرج من وظيفته وبيده العصا او عصاةٌ بيضاء » (Il est sorti de tel emploi un bâton *ou* un bâton blanc à la main) يعنون بذلك انهُ ليس بيدهِ شيء وانهُ في غاية العَوَز

اقول رابعًا انَّ الدلالة على الفقر كالعري والجوع وما شاكلهما كثيرًا ما يكون بذكر الشيء الزهيد فتقول مثلًا: لا يملك فلانٌ الَّا أسمالًا من الثياب وبات فلان على كسرة خبز. يراد بكلّ ذلك اقصى المسكنة لانَّ القليل في ذلك يُعَدُّ كلا شيء.

فعلى هذا يمكن شرح قول الانجيليَّين على هذه الصورة: اذهبوا ولا تبالوا بشيء من امور الدنيا مهما كانت. وان وُجد في يدكم عصاة فخذوها واقتنعوا بذلك (مرقس)

واذا لم تجدوا فلا تسعروا في اقتناء عصاة لطريقتكم (متى ولوقا) . وهكذا يظهر جليًّا ان وجود العصاة لا يزيدهم قوّة سواء كانت في أيديهم لطريقهم او لم تكن

هيّا على درس تاريخ بلادنا

صورة تنظيم جمعيّة لدرس التاريخ

للاب هنري لامنس اليسوعي

انّ عصرنا لم يجدّد فقط الدروس العلمية بل نهج ايضًا منهاجًا جديدًا في درس التاريخ . فان المؤرخين كانوا فيا مضى يتصرّفون كل التصرُّف في الاخبار وذكر اعمال الرجال . وكثيرًا ما كانوا يوردون الحوادث لا كما جرت في الواقع بل كما عنَّ لهم وراق في اعينهم . وطالما نسبوا الى مشاهير الرجال اقوالًا وخطبًا بليغة ولكنَّها محض اختلاق

امَّا في عصرنا فقد نُسخت هذه العادة وعلم الناس ان التاريخ ليس مضمارًا تتبارى فيه قرائح الشعراء او يزيّد فيه الكتَّاب آراءهم ومبادئهم بل هو صورة الماضي صورةٌ تطابق كلَّ المطابقة حقيقته ولا يسوغ فيها التبديل والتحريف . ولم يعد المؤرخ يُقدم على ايراد حادث الَّا بالاستناد على الادلّة الراهنة . ولذا نرى الكتبة الافاضل يذكرون دائمًا ليس فقط المصادر التي اخذوا عنهـا بل ربَّما عيّنوا الصفحة واحيانًا السطر الذي اوردوه من تلك المصادر وان لم يتوصّلوا الى معرفة امر اقرّوا بعجزهم عنهُ غير متردّدين . وان لم يتثبّتوه بل بدا لهم مُرجَّحًا بيّنوا حالتهُ من الارجحية

فجمل القول انهُ ليس للمؤرخ سوى ان يستخدم الادلّة التاريخية ويستعين بها ويستند اليها ولا يسوغ لهُ البتَّة ان يتصرَّف بها على هواه ولا ان يلحق تغييرًا في الانشاء ما لم يتيه الى ما فعل . فيظهر من ثمَّ ما في الادلّة التاريخية من الاهمية العظمى

وعلى المؤرخ قبل ان يباشر العمل ان يجمع ما لديه من الادلّة ويدقّق النظر فيها . بيد ان مثل هذا الشغل ليس بالسهل اليسير في الشرق حيث ان القوم معرضون عن درس التاريخ . واذا ولج منهم احد هذا الباب تراهُ يُعنى بتاريخ البلاد الاجنبية ولم يعبأ بتاريخ بلاده

واين نحن من عصر الطبري وابي الفرج الاصفهاني وابن العبري وابن الاثير وابن

خلدون وغيرهم ممن اضحت مؤلفاتهم الشريفة تاجًا يزدان به مفرق التاريخ العربي. نظرًا الى ما امتازوا به من الضبط والدقَّة والصدق في ايراد الاخبار. وبودّنا لو تتصل سلسلة تلك التواريخ العظيمة بعد انقطاعها. فان كان الاوربيون يبذلون الاموال الطائلة والاوقات الثمينة في درس تاريخ الشرق لخطارته ورفيع مكانته أفليس من العدل التشبُّه بهم ان لم نفق مباراتهم في هذه المساعي الجليلة. او ليس من اعظم دواعي حبّ الوطن ان يقف المرء على مجد بلاده القديم. وهل يحيا ذلك المجد الاثيل الّا بدرس التاريخ

ويا حبَّذا لو قام في كل طائفة جمعيّة غايتها درس التاريخ الطائفي. فيكون رئيسها الشرفي بطريرك الملَّة وهو يعيّن لها رئيسًا عاملًا احد الاساقفة او رجلًا من اعيان الطائفة لهُ المام بالدروس التاريخية. فتتألف الجمعية من اعضاء مشتركين وعاملين وكلهم يدفعون راتبًا معيّنًا لسدّ نفقاتها. وتطبع في كل سنة نشرة حاوية خلاصة اعمالها في سبيل غايتها

وهاك رسمًا جمعنا به في عشرة ابواب ما نودُّ ان تخرجهُ هذه الجمعيَّة الى حيز الفعل

اولًا ان تنشر مع الضبط نصّ الاوراق الرسمية المتعلّقة بالطائفة كالفرمانات مثلًا والمعاملات الصادرة من الباب العالي ممَّا لهُ دخل في تاريخ الطائفة. وكذلك براءات الباباوات المحفوظة في الڤاتيكان او في سجلّات البطركيّات

ثانيًا ان تأخذ عن المؤرخين ورواة الاسفار وسائر الكتبة من النُّبذ او الفِقرات ما لهُ علاقة مع تاريخ الطائفة وتنشرها في لغتها الاصلية وتضيف اليها تعريبها متى اقتضت الحال. ولا غنى في ذلك عن مطالعة مؤلفات الرهبانيات التي جرت لها معاملات مع الشرق كالفرنسيسكان والدومينيكان واليسوعيين والكرمليين الخ. فان تواريخهم مطبوعة وهي تتضمَّن فوائد جمَّة عن الطوائف الشرقية في القرون المتوسطة وما تلاها

ثالثًا ان تورد اخبار القديسين والرجال العظام الذين اشتهروا في الطائفة وتنظم لائحة مؤلفاتهم فتطبع منها المهمّ. وما اعظم ما يكون مثلًا فضل من يهتدي الى ايجاد مؤلفات لكثير من الكتَّاب الموارنة قد ذكرهم الدويهي في تاريخه

رابعًا ان تسرد في جريدةٍ اسماء الكتب الخطيَّة المحفوظة في خزانة كتب الدار البطريركيّة واديرة الطائفة او عند بعض الوجهاء

خامسًا ان تبحث في غوامض المسائل المتعلّقة باصل كل طائفة

سادسًا ان تطبع نصّ الطقوس القديمة او مقالات عنها وتبحث في الموسيقى الكنسية

والالحان الطقسية التي اوغل اكثرها في القِدَم . وفي هذا الصدد نذكر كتاب « منارة الاقداس » النفيس الذي عنيَ بطبعه المعلم رشيد افندي الشرتوني . وكتاب ألحان الكنيسة القبطية للاب بلين اليسوعي . وكتاب كندار الكنيستين الغربية والشرقية للاب نياس

سابعًا ان تعرّف وتصف كل الكتابات اللاتينية واليونانية والسريانية والعربية الخ التي تكتشفها في البلاد

ثامنًا ان تلقي كلّ سنة مسألة تاريخية على علماء الطائفة وتعيّن جائزة لمن اتى حلّها باحسن مقالة

تاسعًا ان تنشئ مكتبة تجمع فيها المؤلفات التي تبحث في تاريخ الشرق ولاسيما تاريخ الطائفة

عاشرًا ان تشيّد متحفًا للآثار القديمة وخصوصًا ما عاد منها بالفائدة على تاريخ الطائفة . وتجمع قطع النقود والمسكوكات والحلل الدينية والملابس المدنية والاسلحة القديمة وكل ما ينبئ عن عوائد السلف . كما هو جارٍ في اوربة . وتعتني ايضًا بحفظ الصور القديمة في الكنائس التي اشرنا اليها في قصّة الاخ غريغون وتهتم بحفظ هذه الكنائس نفسها

فاذا ما تمّت هذه الاعمال او البعض المهمّ منها تيسّر تأليف تاريخ عام للطائفة

وقائل يقول : أنّى لنا الرجال والاموال اللازمة لهذا المشروع الخطير . فالجواب سهل : ان بلادنا والحمد لله لا تخلو من عدد من الشبان الاذكياء فيهم الكفاءة للدروس التاريخية وعندهم معرفة بكثير من اللغات الاوربية فضلًا عن الشرقية وكذلك في صفوف الاكليروس رجال افاضل امتازوا بمعارفهم في اللاهوت والفلسفة والطقوس . وغاية ما يرغبون استخدام تلك المعارف . فان كثيرين منهم مقيمين في القسطنطينية ورومة وباريس وغيرها من المدن الكبرى اعني انهُ في وسعهم ان يحصلوا على الحجج والادلة المتعلقة بشأن الطوائف الشرقية . فهم بالطبع يكونون الاعضاء المراسلين لجمعية التاريخية في طائفتهم

امّا المال فلا نحسبهُ يتعذّر ايجاده . فانّ في كل طائفة جمعيات خيرية زاهرة ترد اليها الحسنات الوفيرة من الوجوه والاعيان . ولا نخال هؤلاء الاعيان يحجمون عن بذل المساعدة بسخاء في تأييد مثل هذا المشروع الخطير العائد بالنفع الجزيل على الطائفة

ويمكن لجمعية ايضًا ان تضيف الى اكتتابات المحسنين ما تحصلهُ من بيع المؤلفات التي تطبعها . وكم من الجمعيات العلمية في اوربة تمكنت بهذه الوسائل ليس فقط من سدّ

النفقات بل ايضاً من جمع رأس مال مهمٍّ . فما المانع من مثل هذه الاعمال في الشرق ؟

وعلى كل فهذه خطرات افكار حرّية بان تستلفت الابصار وتحلّ محلّ البحث . وان كان يتعذر المباشرة في جميع الامور المذكورة فلا باس من الشروع في السهل الممكن منها والتدرج شيئاً فشيئاً . والله خير نصير لكلّ مشروع حميد

الادلة المثبتة دوران الارض

للاب غدفريد زنّوفن مدرّس الطبيعيّات في كلية القديس يوسف

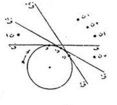
(اقترح علينا هذه المقالة جناب الاديب رفعتلو م . ل .)

اما ان تكون الارض ثابتة والكواكب تدور حولها واما ان تكون الكواكب ثابتة والارض تدور على محورها من الغرب الى الشرق . بيد ان علماء الهيأة يذهبون الى صحة الرأي الثاني دون الاوّل ولهم على ذلك ادلة كثيرة سننظر فيها بايجاز

ولكن قبل الشروع في الكلام لا مندوحة عن القول بانّ الظواهر لا تتغيّر على كلا الرأيين

فاذا كنا نقدّر أن الارض ثابتة نرى بعض النجوم تبدو باديء بدء فوق الأفق بناحية الشرق وتأخذ بعد ذلك في الارتفاع تدريجاً حتى تبلغ اعلى درجة في الأوج ثمّ تستأنف مسيرها فتنخفض شيئاً فشيئاً نحو الافق حتى تتوارى من جهة الغرب الى ان تظهر من جديد في الشرق . وهكذا تتراءى الكواكب راسمة دوائر متوازية ومتفاوتة من حيث طول نصف قطرها في مدّة ٢٤ ساعة فلكيّة

امّا اذا افترضنا ان الكواكب ثابتة ومستقرّة في القبّة الزرقاء وانّ الارض تدور على محورها من الغرب الى الشرق اي من اليسار الى اليمين فانهُ اذا وقف راصد في (د) وكان أُفقهُ عند (ف فَ) يرى كل النجوم التي تعلو السطح (ف فَ) ولكن أُفق الراصد يتغير على توالي الدقائق بسبب حركة دوران الارض فمتى صار الى (دَ)



شكل (١)

يصير أفقهُ (ف ف ٗ) فيرى النجم (ن) بينما لا يعود يرى النجم (ن١) لانَّ الاول يكون قد أشرق لهُ بينما يكون الثاني قد غرب. وعند ما يصير الى (د ٗ) يصير افقه (ف٢ ف٢) فيكون النجم (ن) قد صعَّد في السماء بينما يُشاهد بعض نجوم اخرى (ن٢ ن٣ ن٤) تنخفض نحو الأفق وتقرب الى الزوال. فجملة القول اذًا ان الظواهر تبقى واحدةً على كلا الحالين لاننا في هذا الافتراض كما في تقدير ثبوت الارض نشاهد الكواكب تطلع في الشرق وتصعد حتى تتوارى في الغرب كما هو مُعايَن كل يوم

ألا ترى ان راكب الباخرة التي تسير في الانهار يتوهَّم اذا خلا مسيرهُ من الاهتزاز والاضطراب انهُ ثابت في مكانه وينسب الحركة الى الشواطئ الثابتة التي تتراءى لعينيهِ سائرة الى عكس الجهة التي يسير هو اليها

وهكذا الراصد في كُرَتنا الارضيَّة عند دورانها يتخيَّل انهُ لا يتحرك وينسب الحركة الى الكواكب التي هي ثابتة. وبما ان الظواهر لا تتغير على كلا التقديرَين لم تكن تصلح برهانًا لترجيح احد القولَين اي دوران الارض او ثبوتها. ومثل ذلك مثل المسافر في قطار حديدي فانَّهُ اذا مرَّ على قطار واقف وقريب منهُ يتردَّد في ما اذا كان قطارهُ هو الذي يسير بهِ الى امام او ان القطار الواقف هو الذي يسير الى الجهة المعاكسة. وحتى يتأكد على ان قطاره هو المتحرّك يجب ان يتَّخذ علمًا يستعين بهِ على التحقيق كبناء قريب منهُ او الارض المحاوطة لهُ وهذا هو الذي ينقصنا لمعرفة حركة الارض او ثبوتها

ومع ذلك توجد بيّنات عديدة توضح ان دوران الارض هو أرجح جدًّا من تقدير ثبوتها

ان الارض منفردة في الفضاء كما تؤيد ذلك الاسفار التي تمَّت حولها فلا مانع اذًا من دورانها حول محورها. ثم انَّ الارض هي سيارة من جملة السيارات كما يؤيدهُ كل ما فيها مثل قياساتها وكثافتها وجبالها وبحارها وجوّها وتجمّداتها القطبية وتسطّحها في ناحية القطبَين. والحال ان السيارات تدور كالشمس والقمر على محاورها فما من سبب اذًا يوجب اخراج الارض عن هذه القاعدة العموميّة

وما خلا ذلك فان طول دائرة الارض عند خطّ الاستواء يبلغ نحوًا من اربعين الف كيلومتر. فاذا كانت تدور على محورها فان أيَّة نقطة كانت من خطّ الاستواء تقطع اربعين الف كيلومتر في ٢٤ ساعة وتكون سرعتها ٢٨ كيلومترًا في الدقيقة ونحو نصف كيلومتر في الثانية. اما اذا كانت الكواكب هي التي تدور فبما ان بعدها يزيد على ثمانية

تريليونات من الساعات (ويحتمل وجود كواكب يزيد بعدها الف مرة على هذا البعد)(١ يلزمها ان تقطع في مدة ٢٤ ساعة محيطاً مسافتهُ ٤٨ الف تريليون ساعة اي اكثر من ٥٥٠ بليون ساعة في الثانية. ويستحيل تصوُّر مثل هذه السرعة بل هي مغايرة لكل ما يُشاهد في العوالم لان أعظم سرعة امكن الوقوف عليها حقيقةً في الاجرام السماويَّة لا تتجاوز ٦٤ كيلومترًا في الثانية (٢

وقد اثبت علماء الميكانيكيات ان الجرم لا يقوى على ان يتحرك في دائرة حركةً لا تتغير سرعتها ما لم يُجتذَب الى المركز بقوَّة مناسبة لحجمه ولبعدهِ عنهُ. فاذا ثبت ذلك لزم الكواكب اذا فرض كونها تتحرك حول الارض قوَّات لا قياس لها لاجل إمساكها في افلاكها. وفضلًا عن ذلك لا يمكن ان نعقل كيف ان أجرامًا عظيمةً للغاية تدور حول جرم صغير جدًّا بالنسبة لها

هذا بشأن ارجحيَّة دوران الارض. والآن نقول ان دوران الارض وثبوت الكواكب ليس هو الارجح فقط بل انهُ أمر مقرَّر بالادلة والبراهين العديدة

١ الرياح الدائمة او الرياح التجاريَّة. وهي التي تهبُّ في مدار السنة الى جهة واحدة بعيدة عن السواحل بين دائرتي القيظ من جهتي خط الاستواء حتى الدرجة الثلاثين من العرض ويكون هبوبها في نصف الكرة الشمالي من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي. اما في نصف الكرة الجنوبي فمن الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي. وتتسبَّب عن وفرة سخونة الهواء في المنطقة الواقعة بين دائرتي القيظ. وبما ان المياه تشغل في هذه المنطقة مسافات شاسعة يحدث فيها تبخُّر قوي فينتج عن ذلك ان الهواء يكون هناك مشبعًا من البخار فتقلُّ كثافتهُ. وهاتان العلَّتان تعملان بتنقيصهما ثقل الهواء على صعوده من الطبقات

١) يمكن ان ندرك بوجه التقريب المسافة التي تنفصل النجوم عن الارض بان نختار سرعة انتشار النور مثل وحدة قياس. فتبعًا لامتحانات فيزو ينتشر النور بسرعة ٧٥ الف ميل في الثانية. وعليهِ فان نور الشمس يلزمهُ ثمان دقائق و ١٤ ثانية حتَّى يصلنا. واقرب نجمة من الثوابت الى الارض وهي « الفا (α) قنطوروس » يلزمها ثلاث سنوات ونصف حتَّى يبلغنا نورها. ونجمة النسر الواقع يلزمها ١٢ سنة وثمانية اعشار السنة. والشعرى اليمانية يلزمها ٢١ سنة و ٣ اعشار. ونجمة القطب ٣٠ سنة و ٦ اعشار. ونجمة العيُّوق ٧٠ سنة و ٥ اعشار. وتبعًا لحساب ستروف يجب للنجوم التي تتجاوز في كبرها الدرجة التاسعة ٣٥٤١ سنة حتى يصل الى ارضنا نورها

٢) Tombeck تمبيك في علم الهيئة ص ١٢

الواطئة فيأتي مكانهُ هواء آخر يجري من المنطقتين المتدلتين . وهكذا يتكوَّن في كل نصف من الارض مجريان من الهواء احدهما حارٌ يتَّجه من خطّ الاستواء الى القطبين في طبقات الجوّ العالية والثاني بارد يتجه من القطبين الى خط الاستواء ويكون بسبب وفرة كثافته في الطبقات الواطئة . فلو كانت الارض ثابتة لكانت هذه الاهوية تتَّجه على خط الاستقامة اي بموازاة الهواجر من خط الاستواء الى القطبين ومنهما الى خط الاستواء . والحال ان الامر ليس كذلك لان الهواء القطبي يهبّ بادئ بدء من الشمال ثم من الشمال الشرقي ثم من الشرق . فتغير جهات مجراه اذًا متسبّب عن دوران الارض من الغرب الى الشرق

ولا غرو فانهُ اذا كانت الارض تدور على محورها تعظم سرعة كل نقطة منها بحسب اقترابها من خطّ الاستواء . وبما ان الهواء يلامس كل نقطة من المعمور تكون سرعتهُ كسرعة تلك النقطة وبالتالي فما يهبّ منهُ في المنطقة المتدلة يكتسب سرعة دوران تلك المنطقة فاذا جرى نحو خط الاستواء كانت حركة سرعة دورانه اقلّ من سرعة المنطقة الحارَّة وهكذا يبطئ ويميل الى الغرب ازيد فأزيد كلما اقترب من خط الاستواء حيث يكون هبوبه من الشرق . اما مجرى الهواء الذي يتجه من خط الاستواء الى القطبين شاغلاً طبقات الجوّ العليا فيصل الى ما فوق المنطقتين المتدلتين ولهُ من سرعة الدوران ما يزيد على سرعة تينك المنطقتين ويحدث في طبقات الجوّ العليا مجرًى جنوبيًّا غربيًّا في نصف الكرة الذي نحن فيه . وذلك تتحقَّق ذلك من مراقبة مسير الغيوم في الطبقات العليا . ومتى وصل بالقرب من الدرجة ٣٥ و ٤٠ يكون قد برد فينخفض ويمدّ مسدّ الهواء الذي نقص من هناك . ولا يمكن تعليل مجاري الاهوية هذه الّا اذا قلنا ان الارض تدور

٢ تسطيح ناحيتي القطبين . للارض شكل اهليلجي مسطح من ناحيتي القطبين . وتبعًا لحساب المسيو فاي يبلغ طول شعاع او نصف قطر الارض عند خط الاستواء ٦،٣٧٨،٣٩٣ مترًا وفي القطبين ٦،٣٥٦،٥٤٩ مترًا فالفرق اذًا نحو من ٢١ كيلومترًا

ويبرهن الجيولوجيون ان الارض كانت في بداءتها مصهورة بالنار الى مسافة ما من عمقها على الاقلّ . فاذا كانت تدور فبفعل القوَّة الدافعة الناشئة عن دورانها تتجمَّع المواد المائعة فيها صوب خط الاستواء حيث حركة الدوران أعظم وهكذا تحدث في الخط المذكور انتفاخًا او امتدادًا وفي القطبين تسطيحًا مثل ما يحدث لكل مادة مائعة اذا طرأت عليها حركة دوريَّة كما تثبت ذلك تجارب المسيو بلاتو فانك اذا اسقطت كتلة من الزيت في مزيج من الماء

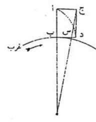
والكحول تأخذ في بادئ الامر هيئة كرة. فاذا جعلت هذه الكرة تدور على محور لا تلبث ان تأخذ شكلاً اهليلجياً مسطَّحاً من القطبين كمثل ما جرى للارض. ثم ان التسطيح يزيد كلما زادت سرعة الدوران. فاذاً وجود هذا التسطيح المقرَّر بالادلة هو برهان جليّ ومستقيم على دوران الارض

ويمكن بيان التسطيح عند القطبين والانتفاخ عند خطّ الاستواء بتجربة اخرى وهي ان تؤخذ أربعة أنصاف دوائر دقيقة لينة من فولاذ وتوصل من اطرافها حتى تصير على هيأة كرة وتُعطى حركةً فترى انها تتسطح في القطبين وتتضخَّم عند خط الاستواء بمقدار سرعة دورانها

٣ نقصان الثقل. لقد بيّنت تجارب الرقَّاص ان وزن الجسم هو انقص في خطّ الاستواء منهُ في القطبين وان مجموع النقصان هو كسر يوازي $\frac{1}{194}$ من الثقل بنوع ان ثقل الجسم الذي يُنقل من القطب الى خطّ الاستواء ينقص خمسة غرامات في الكيلوغرام. فان الجسم الكائن في الخطّ المذكور يبعد عن مركز الارض ٢١ كيلومترًا اكثر ممَّا لو كان في احد القطبين. وعليهِ فالجاذبية في خط الاستواء يجب ان تكون انقص وكذلك الثقل. وقد تبيَّن بالحسابات ان نقص الجاذبيَّة الناشئة عن اختلاف شعاعَي الارض في القطب وفي خط الاستواء يساوي $\frac{1}{590}$ فهذا الكسر ليس الّا عبارة عن جزء يسير من مجموع نقصان الثقل. فيجب اذاً البحث عن علَّة اخرى لهذا النقص لانَّ الاولى وحدها غير كافية. فنجدها في دوران الارض. وعلى افتراض هذا الدوران فان سرعة الحركة الحادثة على سطح الارض وغير الموجودة في نقطتي القطبين تتزايد بقدر البعد عنهما الى خط الاستواء حيث هي بالغة معظمها وهي مضادَّة على خط مستقيم للثقل فتُنقص اذاً الجاذبيةَ. وقد برهن الحساب ان هذا النقصان يعادل $\frac{1}{289}$ فاذا اضفنا الى نقصان الثقل المتسبّب عن التمدد الاستوائي النقصان المتسبب عن القوَّة الدافعة عن المركز الناشئة عن دورة الارض نجد مجموع النقصان $\frac{1}{590}+\frac{1}{289}=\frac{1}{194}$ وهو النقصان الذي تحققنا وجوده في خطّ الاستواء. ولولا دورة الارض لما امكننا ان نعلّله

٤ سقوط الاجرام. لو كانت الارض ثابتة لكان الجسم اذا أُسقط من علوّ يسقط

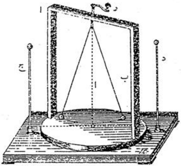
عموديًا ولكن بما انها تدور ينحرف عن الخط العمودي فيسقط لجهة الشرق منهُ واليك ايضاح المسألة



الشكل (٢)

على تقدير ان الارض تدور يكون لجسم الموضوع في (ا) (شكل ٢) مكتسبًا بسبب دورانها سرعة افقيَّة متجهة الى الشرق ولسبب عَجْز المادَّة يحفظ هذه السرعة كل مدَّة سقوطهِ . فاذا أشرنا بحرفي (ا ج) الى المسافة التي يقطعها الجسم بقوة السرعة المذكورة بينما هو يجتاز بقوة الثقل وحدها المسافة العمودية (ا ب) يصل في آخر الوقت بفعل امتزاج الحركتين (ا ج) و (ا ب) الى (د) قمَّة متوازي الاضلع (ا ب د ج) . نعم ان (ب) قاعدة الخط العمودي الممدود من نقطة مبدإِ السقوط الى سطح الارض هي ذات حركة متوازية ومتجهة الى الجهة عينها اي الى الشرق غير ان هذه السرعة هي اقلّ من سرعة الجسم الساقط لانها اقرب الى محور الدوران . فالنقطة (ب) ترسم اذًا قوسًا تساوي بالتقريب (ب س) اي أقصر من (ب د) فتتأخر اذًا النقطة (ب) ويقع الجسم في الموضع (د) شرقي الخط العمودي (ج س) وبناءً على هذا تكررت الامتحانات الوف مرات في مناجم مقاطعة كورنوايل (انكلترة) فدلَّت على ان الجسم الثقيل يسقط دائمًا شرقي الخط العمودي الذي كان الجسم في بدء سقوطه . وقد تبيَّن ايضًا بالحسابات ان الانحراف اذا كان العلوّ ١٥٨ مترًا يلزم ان يكون (٠،٠٢٧٦) اي سنتيمترين وسبعة مليمترات وستة اعشار المليمتر . وقد برهنت اختبارات المسيو ريش في فريبرغ في بئر عمقها ١٥٨ مترًا على ان الانحراف كان (٠،٠٢٨٣) وعلى هذا فان نتيجة الحسابات والامتحانات هي مرضية وتكاد تكون واحدة وعليهِ فلا بدَّ من التسليم بدوران الارض لانهُ هو وحده يكفل تفسير هذا الامر

٥ رقاص فوكو . اذا اردنا ان نحسن فهم هذا البرهان يتعين علينا ان نلاحظ اولًا رقاصًا يخطر في جهة مارة ما بين ساقين ثابتين (ج د) (شكل ٣) وهو معلَّق بخيط معدني في إطار (ا ب) ويمكن إدارة الإطار حول المحور العمودي (ا) فاذا أدير نرى ان وجهة



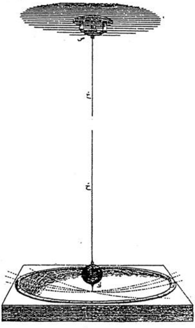
شكل (٣)

الخطران لا تتغير وانهُ يحصل دائماً ما بين الساقين الثابتين (ج د) وان برْم خيط التعليق الذي يمكن تكثيره او تقليله بواسطة القبضة (ر) لا يُغير النتيجة فان وجهة الخطران تبقى واحدة الامر الذي ينتج عن عجز المادة او خاصيّة السكون

واجرى فوكو امتحانهُ في البانتيون بباريس عام ١٨٥١ فاخذ خيطاً من فولاذ (خ خ) (شكل ٤) يزيد طولهُ على ٥٠ متراً(١ وكان طرفهُ الاعلى مدخلاً في صفيحة معدنية (ص) مثبتة في السقف وفي طرف الخيط الاسفل كرة نحاسية (ك) ثقلها ٢٨ كيلوغراماً منتهية في الاسفل بشوكة محددة وكان هذا الرقاص يخطر فوق طاولة عليها رسم دائرة منقسمة الى ٣٦٠ درجة فلاجل تحريكه أُزيغ اولاً عن الخط العموديّ وثبت في هذه الحالة موقتاً بواسطة خيط كان محيطاً بالكرة. فلما أُحرق الخيط اندفع الرقاص يخطر دون حركة بدائية وبسبب طوله كانت تدوم كل خطرة ٨ ثوانٍ ولما اخذ يتحرك تأكد الحاضرون بواسطة الدائرة المنقسمة الى درجات ان وجهة الخطران بدلاً من ان تبقى هي ذاتها كانت تنحرف ببطء من الشرق الى الغرب(٢

١) يتخذ الخيط اطول ما يمكن حتى يدوم خطران الرقاص مدة كافية للتأكيد على ظواهر اختلاف جهات الخطران ٢) لو انَّ هذا الامتحان نفسه أجري في نصف الكرة الجنوبي لانعكست الظواهر اي ان وجهة الخطران تظهر انها تنحرف من الغرب الى الشرق

ولاجل ايضاح هذا الانحراف اقاموا في طريق الكرة الخاطرة كوماً من الرمل كانت تخرقها تدريجاً بشوكتها حتى سوّتها . فمن هذا الاختبار يستنتج احدُ أمرين اما ان وجهة الخطران تختلف وتدور حقيقةً او انَّ الارض هي التي تدور . والحال ان وجهة خطران الرقاص لا تدور وليس اختلاف حركتها الّا أمرًا ظاهرًا وتبقى الوجهة ثابتة لا تتغير . فاذًا الارض

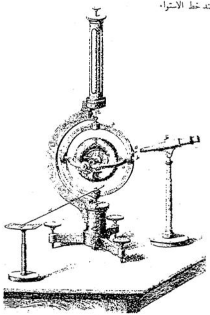


شكل (٤٠) رقّاص فوكو

التي تحت الرقاص هي التي تدور من الغرب الى الشرق . واذا قلت ان نقطة تعليق الرقاص بالسقف هي مرتبطة مع الارض وتدور معها فاجيبك ان لا حركة نقطة التعليق ولا بم المحيط يؤثران في وجهة خطران الرقاص كما بيّنّا ذلك في بدء هذا البرهان

فلو أُجري هذا الامتحان في القطب لشاهدنا كل المواجر الارضية بسبب دوران الارض تتفق بالتناوب مع وجهة حركة الرقاص التي هي ثابتة ثم تتباعد عنها شيئًا فشيئًا . فاذا

راقبهُ هناك مراقبٌ كان التأثير الظاهر واحدًا كأنَّ الارض ثابتة وكأنَّ وجهة الرقاص هي التي تدور بعكس وجهة الارض. ويرسم الرقاص في القطب في مدة ٢٤ ساعة لخطرانهِ لو دام أقطارَ دائرةٍ كاملة على حساب ١٥ درجة كل ساعة. ومن القطب الى خط الاستواء يحدث الحادث نفسهُ الا ان الانحراف الظاهر في وجهة الرقاص يتناقص تدريجًا حتى يزول تمامًا عند خط الاستواء.



شكل (٥) جيروسكوب فوكو

٦ الجيروسكوب وهو آلة لرصد الدوران. قدَّم المسيو فوكو عام ١٨٥٢ الى جمعيـة

العلوم الافرنسية برهانًا آخر طبيعيًا على حركة دوران الارض وهو مبني لا على ثبوت وجهة خطران الرقاص بل على ثبوت وجهة دوران جسم مُعاق بمركز ثقله ودائر حول محوره. وتتركَّب هذه الآلة (شكل ٥) من قرص ضخم من البرونز او من النحاس (ق) يزن تقريبًا نحو كيلوغرام. والقرص المذكور محكم الصنع ومحمول على محور ينطبق على محور هيأته ومركز ثقله. ويركز طرفا المحور (رر) في دائرة من نحاس (ن) موضوعة بطرفي قطرها الافقي (طط) في دائرة اخرى خارجية وعموديَّة (د) معلقة بخيط غير مبروم (خ) ومستندة باطاقة الى مركز (م). ويمكن للقرص ان يتحرَّك الى كل جهة حول مركز ثقله (١ الذي يجب ان يكون واقعًا بالتمام على امتداد الخيط. وهكذا نتأكد ان الثقل او جاذبية الارض لا تؤثر لا على حركة دوران القرص على محوره ولا على مجموع هذه الدوائر التي مر الكلام عليها. ومن ثمَّ فجهة دوران القرص تحتفظ بنوع ثابت غير متغير في الجهة التي يوضع فيها بدءًا وهكذا لا يشارك الارض في ما لها من الحركة اليومية

ولاجراء الاختبار بهذه الآلة يُعطى القرص (ق) حركة يتم بها آلافًا من الدورات في الدقيقة. ثم يوضع ضمن الدائرة العمودية (د) بواسطة الطرفين (طط) وحينئذٍ نشاهد الانتقال النسبي ا.ا بواسطة نظارة (ظ) مكبرة تريك الميكرومتر (ك) بجانب الدائرة العمودية (د) مارَّة درجاته بالتوالي امام مشبَّك النظارة من الشرق الى الغرب. واما بمراقبة حركة وانتقال ابرة طويلة (ب) معلقة بالدائرة نفسها (د) ومتجهة الى قوس أسطحي (ح) مقسوم الى درجات

والحال ان الدائرة العمودية تبقى دائمًا غير متغيرة ومتجهة الى نقطة واحدة من السماء وبمقتضى ذلك نستنتج ان الدائرة السموية هي ثابتة وان الارض التي تحمل النظارة او الطاولة المرسوم عليها قوس الدرجات السطحي هي التي تدور

واحسن ما ننهي به هذه المقالة كلمات الاب سكي اليسوعي الفلكيّ الشهير فقد قال: ان حركة دوران الارض على محورها هي حقيقة ثابتة لا تحتاج في ايامنا الى دليل لانها نتيجة تابعة لكل العلوم الفلكية (في بحثه على خطران الرقاص سنة ١٨٥١)

---

١) لان القرص يدور ضمن الدائرة النحاسية (ن) وهذه تدور في الدائرة العمودية (د) وهذه الاخيرة المعلقة بالخيط تدور من الشمال الى اليمين وبالعكس. وبهذه الواسطة يصير القرص مع الدائرتين الحاملتين له غير خاضع لحركة دوران الارض

كتاب
تاريخ بيروت
لمحمّد بن صالح
(تابع لما سبق)

ذكر بعض حوادث جرت بعد فتوح بيروت الثالث الى ايّام المؤلّف

قال النويري: في العشر الآخر من شعبان سنة ثمان وتسعين وستمائة (١٢٩٩ م) وصل الى بيروت مراكب كثيرة وبُطَس (١ للفرنج فيها جماعة كثيرة من المقاتلين ويقال انّ عددهم كان يبلغ ثلاثين بُطسة في كل بُطسة منها نحو سبعمائة مُقاتل وقصدوا ان يطلعوا من مراكبهم الى البرّ ويشنُّوا الغارة على بلاد الساحل. فلمَّا قربوا من البرّ ارسل الله عليهم ريحًا شديدة فغرقت بعض هذه السفن وتكسَّر بعضها ورجع من سلم منهم على أسوإ حال وكفى الله المسلمين شرَّهم. ثم قال النويري: وحُكي عن رئيس بيروت انّهُ قال: والله لي خمسون سنةً ألازم هذا البحر فما رأيت مثل هذه الريح التي جرت على هذه المراكب وليست هي من الرياح المعروفة عندنا

وممَّا نقلناهُ عن النويريّ والصّلاح الكُتُبي في فتوح كسروان ما روياه من جملة حوادث سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٥م) وذكرا توجُّه العساكر الشاميّة الى جبال كسروان وإبادة اهلها وتمهيدها وهي النوبة الثانية في أيَّام السلطان الملك الناصر محمّد بن المنصور (٢ فقالا: كان اهل كسروان قد كثروا وطغوا واشتدَّت شوكتهم وتطاولوا الى أذى العسكر عند انهزامهِ من التتر في سنة تسع وتسعين وستمائة (١٣٠٠ م) واغضى السلطان عنهم وتمادى في عقابهم فزاد طغيانهم واظهروا الخروج عن الطاعة واعتزلوا بجبالهم المنيعة ووثقوا بجموعهم الكثيرة وعلّلوا النفوس بانّهُ لا يمكن الوصول اليهم

ففي ذي الحجّة سنة اربع وسبعمائة (١٣٠٤م) جهّز (١٣٠٤) جمالُ الدين آقُش

---

١) البُطسة جمعها البُطَس كلمة اعجمية يُراد بها المركب الكبير للتجارة او الحرب

٢) هو الملك الناصر محمّد بن قلاوون من المماليك الترك البحريّة تولّى السلطنة على مصر والبلاد الشاميّة من سنة ٦٩٣ الى ٧٤١ (١٢٩٤—١٣٤٠)

الافرم نائبُ الشام (١ زينَ الدين عدنان (٢ . ثمَّ توجَّه بعدهُ تقيُّ الدين (٣ وقراقوش(٤ وتحدَّثا معهم في الرجوع الى الطاعة فأبوا. فامر عند ذلك بتجريد العساكر اليهم من كل جهة ومن كل مملكة من ممالك الشام. وتوجَّه آقش الافرم من دمشق بسائر الجيوش في يوم الاثنين الثاني من محرَّم سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٥م) وجمع جمعاً كثيراً من الرجَّالة نحو خمسين الفًا وتوجهوا الى جبال الكسروانيين والجرديين. وتوجَّه سيف الدين أَسَنْدُمُر نائب طرابلس (٥ وشمس الدين سُنقُرُ جاه المنصوري نائب صفد (٦ . وطلع أسندمر المذكور من جهة طرابلس وكان قد نُسب الى مُباطنتهم. فجدَّد العزم واراد ان يعمل في هذا الامر ما ينفي عنهُ هذه التهمة اللاحقة بهِ. فطلع الى جبل كسروان من اصعب مسالكهِ واجتمعت على اهلهِ العساكر واحتوت على جبالهم ووطئت ارضاً لم يكن سكانها يظنون انَّ احداً يطأها. وقُطعت كرومهم وأُخربت بيوتهم وقُتل منهم خلقٌ كثير وتفرَّقوا في البلاد (٧ . واستخدم أَسَنْدُمُر جماعةً منهم في طرابلس بجامكيَّة (٨ وبجازاهم من الاموال

---

١) كان احد امراء الملك الناصر محمَّد بن قلاوون تولَّى المناصب الجليلة في دمشق وصرخد وطرابلس ثم لحق بالتتر مع سنقر ومات في همذان سنة ٧١٦ ه

٢) لم نحصل على شيء من اخبارهِ

٣) نظنُّ انهُ يريد تقيَّ الدين احمد بن تيميَّة الشهير وُلد بحرَّان سنة ٦٦١ وتوفي سنة ٧٢٨ (١٢٦٣–١٣٢٨ م)

٤) هو الامير الطواشي بهاء الدين قراقوش الاسديّ كان احد امراء الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين. وتولَّى الاتابكيَّة في ايَّام ابنهِ الملك المنصور ولهُ اخبار كثيرة ونوادر وفكاهات

٥) هو الامير أَسَنْدُمُر الكرجيّ ولَّاهُ الملك النَّاصر محمَّد بن قلاوون نيابة طرابلس سنة ٧٠٤ (١٣٠٥ م) فبنى لها حصناً في موضع حصن سنجيل وتولَّى نيابة حماة سنة ٧١٠ (١٣١١م). لم نقف على سنة وفاتهِ

٦) لم نجد لهُ ذكرًا في غير هذا التاريخ

٧) ذكر ابو الفداء هذه الواقعة في تاريخ سنة ٧٠٥ قال: وفي هذه السنة سار جمال الدين اقوش الأفرم بعسكر دمشق وغيرهِ من عساكر الشام الى جبال الظنِّيين وكانوا عصاةً مارقين من الدين فاحاطت العساكر الاسلامية بتلك الجبال المنيعة وترجَّلوا عن خيولهم وصعدوا في تلك الجبال من كل الجهات وقتلوا واسروا جميع من بها من النُّصَيْرِيَّة والظنِّيين وغيرهم من المارقين وطهرت تلك الجبال منهم وهي جبال شاهقة بين دمشق وطرابلس وأَمنت الطريق بعد ذلك.. (اه). وزاد ابن الوردي في تاريخهِ: وكان الذي افتى بذلك ابن تيميَّة وتوجَّه مع العسكر

٨) الجامكيَّة لفظة اعجميَّة يُراد بها الراتب وجزاء العمل

الديوانية. فاقاموا على ذلك سنين. وأقطع بعضهم املاكًا من حَلْقة طرابلس. واختفى بعضهم في البلاد واضمحلَّ امرهم وخمل ذكرهم

وعاد نائب الشام الى دمشق بالعساكر في رابع شهر صفر من (٧٠٤) السنة المذكورة. وجعل الناظرَ في بلاد بعلبكّ والجبال الكسروانيَّة بهاء الدين قراقوش فقهر ما كان تأخر بجبال كسروان وقتل من اعيانهم جماعةً. ثمَّ أعطوا أمانًا لمن استقرَّ في غير كسروان. ثم أقطعوا علاء الدين بن معبد البعلبكيّ وعزَّ الدين خطّاب وسيفَ الدين بكر الحسامي وابنَ صُبح (١ اراضيَ في كسروان ثم ابطلوها عنهم واقطعوها التركمان فأذركوا موانئ البحر ودروب البرّ من ظاهر بيروت الى عمل طرابلس واستمرُّوا الى وقتنا هذا وشُهِروا بتركمان كسروان وعُرفوا به

ومن الحوادث أنهُ في العُشر الآخر من جمادى الاولى جاز على بيروت تعميرةٌ (٢ للفرنج ولم يتعرَّضوا لها وتوجهوا الى صيداء واخذوها وقتلوا من اهلها جماعةً واسروا جماعةً ونهبوا منها شيئًا كثيرًا. وكذلك المسلمون فانهم قتلوا من الفرنج جماعة وبعثوا برؤوسهم الى دمشق فعلّقوها على القلعة وكانت بضعًا وثلثين راسًا. وحضر الى صيداء الامير شهاب الدين بن صُبح نائب صفد وسبق العسكر الشاميَّ ولحق التعميرة على جزيرة صيداء بعد فوات الامر فاشترى الاسرى جميعهم كلٌّ نفرٍ بخمسمائة درهم واخذ من ديوان الاسرى ثلاثين الف درهم

وفي يوم الجمعة الثالث عشر من محرَّم سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) أُخذت الاسكندرية (٣ وكان الامير الكبير يَلبغا العمريّ (٤ هو المتكلم عن السلطان لحداثة سنّهِ فرسم للامير

---

١) لم نجد لكل هؤلاء ذكرًا في غير هذا التاريخ. وابن صبح يدعوهُ المؤلف شهاب الدين ويقول انهُ كان نائبًا على صفد

٢) التعميرة هي العِمارة من السفن والاسطول

٣) اخذها الفرنج ونهبوها فخرجت العساكر المصرية لمقاتلتهم ففرُّوا وتركوها

٤) هو الامير يَلبُغا الخاصكيّ كان مملوكًا للملك الناصر حسن بن محمَّد بن قلاوون تولى النيابة في ايَّام هذا السلطان وقتلهُ بعد ستّ سنين لملكهِ واقام من بعدهِ ابن اخيهِ السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمَّد سنة ٧٦٢ (١٣٦١ م) ثم خلعهُ بعد سنتين واقام بعدهُ الملك الاشرف زين الدين ابا المعالي شعبان سنةَ ٧٦٤ (١٣٦٣م) فبقي تحت حجر يَلبغا الى ان استبدَّ وقتل يَلبُغا سنة ٧٦٨ (١٣٦٧ م)

بيدمُر(١ الخوارزميّ (14) بالتوجُّه الى بيروت ليعمّر من غابتها مراكب كثيرة حمّالات وشواني(٢ للدخول الى قبرس. فحضر الى بيروت واحضر صنّاعاً كثيرين من سائر الممالك فكانوا جمّاً غفيرًا وقيل انهُ لم يعهد قط عمارةٌ مثلها عظماً وسرعةً وكثرةَ صنّاعٍ وقوةَ عزم. وعمّر بيدَمُر بظاهر بيروت مسطبةً وعُرفت به الى الآن. وكانت المراكب تُعمَل بها على بُعد من البحر. وحضر عسكر الشام متجرّدًا فانزلوهُ فيما بين البحر والمراكب حذرًا من مراكب صاحب قبرس لئلّا يحضر العدوّ حين غفلةٍ فيحرقوا ما يُعمل من المراكب. وكان نائب الشام في ذلك الوقت أَقتمُر عبد الغني(٣. ولما توفي يلبغا العمري في ليلة الاحد العاشر من ربيع الآخر سنة ثمان وستين وسبعمائة (١٣٦٧ م) أُبطلت العمارة المذكورة ولم ينزل من المراكب الى البحر سوى حمّالتين كبيرتين الواحدة باسم سُنقر والثانية باسم قراجا (٤ وهما اميران من امراء ذلك الوقت. وكان الامير بيدمر قد استعجل القومَ على عمارتهما ليجهزهما فيحضرا صواري وقرايا ومقاذيف لباقي الشواني التي يعمّرونها. ثمَّ بقيتا بعد ذلك في ساحة بيروت حتى تلفتا. وكذلك تلفت بقية الشواني التي لم تنزل الى البحر تحت المسطبة المذكورة. وكان قد صُرف عليها مال كثير فذهب سدًى لم يُستفَد منها سوى الحديد بعد ما اخذت الناس منهُ شيئاً كثيرًا (14)

ومن الحوادث انهُ في العُشر الاوسط من جمادى الآخرة سنة اربع وثمانين وسبعمائة (١٣٨٢م) حضرت تعميرةُ الجنويَّة الى صيدا فاخذتها وجاءت الى بيروت وكانوا سمعوا في دمشق بخبر حضورها الى صيدا. فقال ملك الامراء بيدمر: صيداء ما بقينا نلحقها لكننا نروح نلحق بيروت. فوافق حضور العساكر الشاميَّة الى بيروت حضورَ التعميرة فلم يتعرَّض اصحابها للنزول الى البرّ وتوجهت التعميرة الى جهة قبرس والماغوصة (٥

ثمَّ رجع العسكر الى دمشق وتأخر منهُ شرذمةٌ وجماعة من الامراء والمقدَّم عليهم

---

١) هو الامير سيف الدين بيدُمر البدريّ الخوارزميّ تولّى نيابة طرابلس وحلب سنة ٧٤٧ (١٣٤٦م) ثم صار نائب الشام في ايأم الدولة التركانيَّة البحرية توفي نحو سنة ٧٩٠ (١٣٨٨ م)

٢) الشواني جمع شُونة وهي السفينة الكبيرة المجهَّزة للحرب

٣) لم نقف على ذكرهِ في التواريخ التي بين ايدينا

٤) قد تسمَّى كثيرٌ من الامراء باسم سنقر فلا يظهر ايًّا منهم اراد المؤلف. امَّا قرَاجا فهو زين الدين قراجا بن دلندار التركاني من الامراء البحريَّة. لم نقف على سنة وفاتهِ

٥) الماغوصة من مواني قبرس الكبيرة يدعوها الفرنج Famagouste

جمال الدين الهداني (١ وكان مقدَّمَ النفر وكان عندهم عُشران(٢ البلاد والبقاع. ثم انَّ التعميرة المذكورة آنفًا غابت اياماً قلائل وعاد الجنويُّون الى بيروت بعد ان تركوا في الماغوصة بعض مراكب صغار ومراكب نوافذ كسبوها من صيداء. وفي طريقهم مع ما كانوا غنموهُ من صيداء. فحضر الى بيروت اثنا عشر غُراباً كبيرًا ودخلوا الميناء وكان فيها قرقورتان للبنادقة فاخذوهما وشحنوهما بالرجال وقدّموهما حتى تمكّن الرُماة منهم بالجروخ(٣ والحجارة من صواريها على برج بيروت الصغير البعلبكيّ. ولم يكن في ذلك الوقت بُني البرج الكبير وكان مكانهُ خرائب قديمة. فرمى الفرنج المسلمين بالجروخ والمدافع فتنحّى المسلمون عن قبالة الفرنج واستتروا بالحيطان. فتقدّمت شواني العدوّ الى البرّ ما بين البرج الصغير والخرائب (١٥ت) التي كانت مكان البرج الكبير ونصبوا صقائلهم من الشواني الى البرّ. ونزل منهم شرذمة كبيرة وعليهم مقدَّم من كبارهم وبيدهِ سَنجَق وصعدوا في الجونة الى جهة الخرائب لينصبوا السنجق على علوةٍ اشارةً منهم انَّهم ملكوا البلد. وشرعوا ينزلون من الشواني شرذمةً بعد أُخرى فهجمت فرقةٌ من المسلمين مع الوالد(٤ على الذين معهم السنجق فقهروهم ورموا السنجق. فلمَّا نظر الفرنج وقوع السنجق وقف عزمهم وقويت قلوب المسلمين فحمل منهم ذوو النخوات فانهزم من كان نزل من الفرنج وازدحموا على الصقائل فانقلب بهم بعضها فغرق منهم جماعة وقُتل جماعة وانكسروا شرَّ كسرة. واستشهد في ذلك اليوم من المسلمين نفرٌ وجُرح جماعة. وكانوا قد كشفوا التعميرة عشيّة يوم وصولها فاشعلوا النار ليلًا اشارةً لوصول الافرنج الى بيروت فوصلت النار بالتدريج في تلك الليلة الى دمشق فحضر بَيدَمُر نائب الشام الى بيروت عشيَّة يوم الواقعة وتبعتهُ عساكر الشام فكان وصولهم بعد فوات الامر ولم يلحقوا القتال ولم يروا غير الشواني في البحر على بُعدٍ وهي راجعة الى بلادهم (ستأتي البقية)

١) لم نجد لهُ ذكرًا في غير هذا التاريخ

٢) نظنّ انهُ يريد بالعشران المتطوعين من اهل البلد

٣) هذه لفظة دخيلة لم نتحقّق صحّتها ووردت في الاصل على ثلاث صور مختلفة جُروخ وخرُوج وحرُوخ ويظهر من القرائن انها من ادوات الرمي ولعلَّ الصواب « جُرُوج » تعريب (feu grégeois) وهي اسهم نارية تلتهب في الماء

٤) يريد المؤلفُ والدهُ وسيأتي ذكرهُ

خريدة لبنان

(للاب هنري لامنس اليسوعي)

(تابع لما قبل)

١٠

في ذات صباح من أيام تموز — وقد مضى نحو الشهر على ما سبق ذكره — كانت العربة العمومية المعروفة بالدليجنس تصعد كالعادة فوق ربى لبنان من بيروت الى دمشق. فوقفت عند خان الشيخ محمود ريثما خرج منها شابان في مقتبل العمر عليهما شارات الحظ وملامح السرور وفي يمين كل منهما عصا ضخمة اعدّاها ليستعينا بها على السير في الجبل

فوقفا برهةً يسرّحان الطرف في تلك الربوع التي كستها الغزالة عند بزوغها حلّة الانوار ونظم لها الندى من اللآلئ عقودًا ولبثا ينفثان من صدرهما هواء المدينة ويستنشقان بتنعُّم نسيم الجبال البليل فتنتعش منهما الارواح والابدان

ثمّ ثنى كلٌّ طرفَيْ بنطلونهِ فوق حذاء متين الصُّنع مهيَّأً للمشي في الوعر وسارا بهمّة في تلك الطريق التي تراكم فيها التراب. وهما يتداولان الحديث بحماسة ولا يشكّ من يسمعها انهما من ارباب القلم ورجال الادب

وما زالا يمشيان بنشاط ينعشهما نسيم الصباح ويدفعهما التحمُّس واذا باصغر الشابّين توقف عن السير وصاح برفيقه: ألا أنصت يا هذا

وكان طرق مسامعهُ نغمات الزمّارات والدفوف صادرة من الوادي يتخلّلها حينًا بعد حين طلقات البنادق

فقال لهُ رفيقهُ: وهل من عجب فهولاء القرَويّون اطاعوا اليوم داعية الافراح. ويحق لهم ان يتناسوا حصّة اكدار الحياة

فاجاب قائلًا: لا انكر ذلك. على اني اودّ لو اعرف الداعي الى مثل هذه المظاهرات مذ لاح الصباح. فانني راجعتُ البارحة قبل مغادرتنا بيروت تقويم السنة فلم اجد لعيدٍ ذكرًا في هذا الاسبوع وقد مضى نحو العشرة ايّام على عيد مار الياس. فيا تُرى ماذا جرى. وهنا ادّى السير بالشابين الى خان ابي القريّة الذي عرَّفناهُ قبلًا ولم يكونا يجهلانهِ. فقال اكبرهما:

لقد مشينا نحو الساعتين فبلغ مني العطش مبلغاً . هيَّا بنا نروي الغليل في هذا الدكان ونأخذ لنا من الراحة نصيباً ونغتنم الفرصة لنسأل الدكاني عن الخبر اليقين

فما ولجا الدكان الّا قهقها ضحكاً فانهما شاهدا صاحبنا الدكاني يخطر في ملابس العيد فيسحب على الارض ذيل سروال لعب الهواء بأثنائه فنفخهُ كالقاوع . وكان لابساً صدريَّة من المخمل الاحمر مزركشة بالحرير وفوقها زنَّار عريض كثير الالوان

فقابل ضيفيه بابتسام الفوز . ولم يبادر الى خدمتهما بل بقي يتمشَّى باذياله . وقد لاحت عليه علائم السآمة والكدر فصاح : مَلَكة . ملكة . عجّلي . فاني اسمع صوت الدفّ . يا الله . انّ العيد سيفوتني بسبب هذه المرأة

فبادرت ملكة تحمل سلَّة من الزهور . وما كان اجملها في خمارها الازرق البسيط وثوبها الوردي المتَّسع ونطاقها الحرير الاسود لا يشين صورتها قبعة كبيرة ولا يخفي ساعديها أردان عظيمة منتفخة كالتي تألفها نساء اليوم

فلم يكن كلمح البصر الّا قدَّمت مَلَكة للشابَّين شراباً مبرَّداً ثم مضت لتنظر آخر نظرة في ملبوسها

فعيل صبر الدكاني وصرخ : ملكة . وحياة أبي اذا لم تحضري تَركتكِ وسرتُ وحدي

وبينما الشابان يرويان الغليل ويتبسّمان مما يسمعان ويريان اذ لاحت منهما إلتفاتة فابصرا على الجدار صورة نبوليون عليها من الالوان اصناف وهي اغرب الهيئات

فصاح احدهما بالدكاني سائلاً : ألا برّبك يا هذا ما حداك الى تعليق الصورة في الجدار على تلك الحالة . أَوَخطر لك ان تُبقيها ابدَ الدهر

فاجاب الدّكاني وهو يتبسّم ابتسامة معنويَّة : نعم نعم . فليضحك من شاء فهي مبدأ ثروتي وبسببها صرتُ اربح سنويًّا ثلاثين ليرة

١١

وعندئذٍ سُمع طلقات بنادق كثيرة دفعة واحدة ارتشكت ان تُطير الكأس من ايدي الشابّين فصاح الدكاني بحنق : يا الله قد دارت افراح العرس . ويل هذه المرأة لا شكّ انها تضيّع عليّ الوقت وتحرمني من العرس

فسأله أكبر الشابين . بربّك يا عمّ الا أخبرتنا بايّ عيد تحتفلون اليوم وما الداعي لمثل هذه الحركة في ضيعتكم

فاجاب الدكاني: داعٍ عظيم مهمّ فوق العادة. ولا شكّ ان جرائد بيروت تذكره

— هل زاركم المطران ? فاني اسمع جرس الكنيسة يقرع منذ ساعة

— ما حزرتَ

— أقدم عليكم القنصل ?

— بل افضل من القنصل

— فاذن متصرّف لبنان. على انهُ منذ اسبوع يتجوَّل في شمالي لبنان لجهات الارز ولا اخالهُ الّا باقيًا هناك

— انت بعيد

— فلم يبقَ الّا والي سوريّة. لكن بلغنا انهُ اليوم في نواحي طرابلس. ألا بحقّي يا عمّ أفدنا عن الحقيقة وخلّصنا

— الحكاية من اغرب ما يكون. ما سمع احد بمثلها. فاو كنتم تعرفونها انتم الذين تؤلّفون الكتب لأغنتكم عن اختلاق القصص. وهذه الصورة لها علاقة شديدة مع قصّة انيسة الضريرة

فقال اصغر الشابّين مندهلًا: انيسة الضريرة ?

— أنعم بهذه القصّة مُلحقًا لرواية وردة المغرب

فصاح رفيقه باسمًا: على رسلك ايها الشاعر ولا تستقلّ بالقصّة وحدك. فالمثل يقول: كونوا اخوة واقتسموا قسمة الحقّ

— لا تتخاصمنّ على القصّة قبل ان تسمعا. قال ذلك والتفت الى الدكاني وتوسّل اليه قائلًا: بحياتي عنك يا عمّ تروي لنا هذه النادرة ونحن نعدك بان نقدّم لك نسخة منها مطبوعة

فصاح الدكاني: ذلك مستحيل في هذه الساعة. فاني مستعجل... وها امرأتي وصلت والحمد لله. تعالا معنا الى الضيعة وانا اخبركما على الطريق بكل ما جرى واذكر لكما هذه الحكاية

وكانت المرأة قد دخلت تخطر في ثوب العيد. فاندفع الدكاني يجري وقد جذب معهُ الشابّين واخذ يروي لهما مع التفاصيل قصة حنّا الطويل وانيسة الضريرة وهما يعيرانه اذنًا صاغية وقلبًا واعيًا. والمرأة تتبعهم ولا تغفل ذكر نبذة او ابداء ملاحظة في اثناء الحديث

* فاعلموا ان حنّا غنطوس بعد موت والديهِ لم يكن لهُ ملجأ فانتقل الى بيروت طلباً للرزق ولمّا ضاقت عليهِ المذاهب دخل في مركب انكليزيّة بصفة وقّاد وهكذا مرَّ في اسفاره بكل موانئ البحر المتوسط وبلاد الانكليز . ففي ذات مساء كانت هذه المركب مارّة بمضيق جبل طارق فاصطدمت بمركب اخرى فانفلقت ولم تلبث ان ابتلعها اللجج قبل ان تتمكَّن من الوصول اليها المراكب التي بادرت الى نجدتها . ولم ينجُ الّا بعض البحارة

* وبعد ايّام قلائل انتشر الخبر في كل الاصقاع وطار الى جبال لبنان وعلم اهل ضيعتنا بالمصاب واعتقدوا جميعهم الّا انيسة بموت حنّا الطويل غرقاً . وفي الواقع انهُ لم يمت بل كان في عداد من سلم من البحّارة . وعاد الى اسفاره وقادتهُ الى رأس الرجاء الصالح . وكنتُ لا تسمع في تلك الايام الّا من يحدث باخبار الترانسفال ومناجم الذهب والالماس فيه . فخطر لصاحبنا ان يقصد تلك الوجهة طمعاً في الكسب

ففي بادئ الامر قاسى من الاكدار والاهوال ما لا يوصف لكنَّ الأيّام كانت قد حنكتهُ وشدّدت عزيمتهُ وزادتهُ خبرةً في الحدادة وعلم الحيل التي يسميها الفرنج ميكانيك كما سمعها مرارًا من السيّاح الذين يزورون هذه البلاد . فاشتغل عند قبيلة البويرس وزاول مهنة تصليح الاسلحة وادوات الفلاحة . حتَّى ادَّت بهِ الاحوال الى مدينة انجرتا عنها وقد فات اسمها عن بالي فعرض خدماتهِ على شركة هناك تشتغل باستخراج الذهب والالماس وهي من اعظم الشركات قبلتهُ . والعبيد اهل تلك البلاد لا حقَّ لهم على ما يظهر بامتلاك الاراضي ولا يسوغ لهم الّا الاشتغال في المناجم بصفة فعلة ولا يقبضون اجرتهم ذهباً . وكل وكلاء الاشغال يجب ان يكونوا من البيض ولاسيا الناظرين في المناجم لانَّ العبيد الفعلة يسعون جهدهم في اخفاء شذرات الذهب والالماس

ولمَّا وصل حنّا الى تلك البلاد كان عدد البيض دون القليل فلذا قبلتهُ الشركة مع الشكر ودفعت لهُ راتباً مهماً وعلاوةً على ذلك كانت تعطيه خُمس الالماس المهرَّب الذي يكتشف عليهِ . ولما كان قنوعاً في معيشتهِ صادقاً في خدمتهِ مجتهدًا في اعمالهِ لم يلبث ان جمع كميّة من المال وافرة وقد كان حاصلاً على ثقة واعتبار مخدوميهِ وحبّ العبيد المشتغلين تحت امرتهِ . وليس من طبعهم حب البيض

ولمّا ثار العبيد كان هو من النزر القليل الذين سلموا وبقي بيتهُ سالماً محفوظاً على

حين ان منازل مديري الاشغال والمستخدمين أحرقها الثائرون. ولما هدأت الخواطر وكان عندهُ رأس مالٍ مهمّ عزم على الشغل لحسابه فاشترى قرب المدينة اراضي مهجورة وبعد الكدّ ومماناة الاتعاب اسعدهُ الحظ بالاكتشاف على معادن ذهبية

ولم تمضِ سنوات قليلة حتى اصبح من ارباب الملايين وكانت نفسهُ لا تزال تحن الى بلاده. فترك اشغاله وجمع ما عندهُ من المال وقفل راجعاً الى سوريَّة. وقد مضى عليهِ شهر كامل في ضيعتنا هذه مسقط رأسهِ ونيسيا جملة الايَّام بخطيبته انيسة الضريرة التي صبرت على الفراق اكثر من عشرين سنة. امَّا باقي القصة فستعلمانه اليوم. . . »

١٢

كان الدكاني يسرد على الشابين تلك الاخبار مع التفاصيل وهو يلهث تعباً وما أتى على آخرها حتى أعياه الجهد. لكنّ رفيقيه لم يعتنيا بما ذكر بل طمحت ابصارهما الى غير ذلك من مُلحقات الحديث. فسألهُ احدهما قائلاً: على انك يا عمّ نسيت ان تخبرنا عن العلاقة بين قصَّتك وصورة نبوليون المتعلقة على جدار دكانك

فاجاب قائلاً: الحق معك. فاعلما ان حنَّا الطويل دفع لي ثمنها كمية من الدنانير ولا يزال كما اخبرتكما يدفع لي ثلاثين ليرة في السنة على شرط اني أُبقيها كما كانت فيما مضى قبل سفرهِ وكما رأيتها في محلها. فانهُ تترَّعينهُ برآها وتطيب نفسهُ بذكر الايام السالفة

ولا يخطرنّ ببالكما انهُ اكتفى بما احسن اليَّ بل عمّ فضله الجميع. وليس حنَّا الطويل اوَّل مسافر عاد الى بلاده. فان كثيرين بعد ان جمعوا المال رجعوا الى ضيعتهم ولكن لم يحسّوا بغير نفسهم فاشتروا الاراضي وبنوا البيوت الفاخرة امَّا حنَّا فانهُ فعل ما لا ننساه على طول الزمان. لا شكّ انكما رأيتما اساس بناء عند مدخل الضيعة فهذا مستشفى يبنيه للمرضى ومأوى للشيوخ العجزة. وهو عازم على تشييد مدرسة للصبيان واخرى للبنات

ومع ما هو عليهِ من الغنى الوافر لا تراه يتعجرف او يزدري باحد بل يتكلَّم مع الصغير والفقير بكل لطف ويسلّم على الجميع بكل رقة. وخلافاً لكل الذين يرجعون من البلاد لم يأخذ عن الاوربيين الا العوائد الحسنة وهو يقوم خير قيام بواجباته الدينية ويحضر الذبيحة الالهية كلَّ احد وعيد ويصلّي بحرارة كأنهُ لم يخرج من ضيعتنا

وبعد ان اهتمَّ بكلِّ الناس افتكر في نفسهِ. فاشترى بيت مصيف كان بناه احد

تجار بيروت وسينتقل اليه مع انيسة وعائلة الخالة سركيس التي تبنّى كلُّ ابنائها. ولم يغفل عن الحنّار فارس بل اعطاه مالًا كثيرًا

واليوم يُعقد لهُ الاكليل على انيسة. وهذا عيد عظيم لاهل الضيعة. والبرهان على ذلك انهم سيذبحون عشرة خِراف وفي هذا الصباح سيحضر حنًا قدّاسًا احتفاليًا ليشكر الله على نعمهِ الجزيلة نحوهُ

وفي اثناء هذا الكلام وصل الشأبان الى القرية ولم ينتهِ بعد حديث الدكّاني غير انهما شُغلا عن سماع الختام بما وقعت عليهِ أعينهما

فكانت القرية قد برزت باجلى مظاهر الزينة وكانت ابواب المنازل والنوافذ كلها مزدانة بالزهور وبالخضرة وعلى البعض منها أشعار رقيقة تتضمَّن الطف التواريخ. وكانت تخفق في كل جهة الاعلام المختلفة الالوان

وعلى باب حنًّا الطويل قد كُتب بالزهور اسم العروسين على اجمل منوال

اما عن ازدحام الناس فحدّث ولا حَرَج. فكانت جماهير القرويين قد بادرت من جميع الضياع والمزارع المجاورة ليحضروا مثل هذا العيد النادر المثيل بينهم (ستأتي البقيَّة)

شتّى

معنى اسم البرمكي

كثيرًا ما بحثتُ عن معنى هذا الاسم في اللغة العربية وفي كتب المؤرخين من العرب فلم اعثر على ما اشفي بهِ الغلَّة الى ان وقع بين يديَّ كتاب فارسيّ ذكر فيهِ معنى هذا الاسم فقال ما محصَّلهُ: ان نسب جعفر الذي هو ابو خالد البرمكي يتَّصل بملوك فارس وكان في اوائل أمرِهِ مجوسيًّا يعبد النار في نوبهار بلخ. فلمَّا اراد التديُّن بدين الاسلام اخذ معهُ خدمهُ وحشمهُ وحامَّتهُ (عائلتهُ) وتوجَّه بهم الى دمشق وكانت يومئذٍ دار ملك بني أميَّة. وذكر في جامع التواريخ ان وصول جعفر الى دمشق كان في عهد عبد الملك بن مروان وقال جماعة من المؤرخين ان وصولهُ اليها كان في ايام سليمان بن عبد الملك. ولمَّا رأينا ان الرواية الثانية اصحّ اقرب لم نعتمد على القول الاول. ولمَّا قدم جعفر امام سليمان بن عبد الملك تغيَّر لون الخليفة وامر باخراجهِ من المجلس فتعجَّب الحاضرون من صدور ذلك الحكم فقال لهم

سليمان: ان مع هذا الرجل سمًّا ولذلك امرتُ باخراجهِ. لانّ في كتفي خرزتين واذا أُتي في المجلس بسمّ تحرّك الخرزتان فحال بحسب خاصيتها. فاستفسر الحاضرون عن كيفية الحال عند جعفر. فقال: ان تحت فصّ خاتمي سمًّا. فقالوا: ولِمَ ذلك. فقال: لاني وقت الشدة (بَرْمَكيم) اي أمصُّها. ولقّب جعفر من ذاك الحين بهذا اللقب. وبعد ذلك طلب سليمان جعفرًا واحضرَهُ في المجلس وامرهُ بالجلوس واظهر تينك الخرزتين ليرى خاصيتها الحاضرون باعينهم. فسأل الملك ابا خالد: هل شاهدت في عمرك امرًا غريبًا مثل هنا. قال: نعم اني رأيت في مجلس سلطان تخشب شيئًا مثل هذا في القرابة

اوردنا هذه الرواية ولا نعرف مقامها من الصحة لكن على كل حال تفسّر سبب تسمية البرامكة بهذا الاسم. فان لم يكن في فصّ خاتمه سمٌّ فلا بدّ انهُ كان معهُ شيء من السمّ يمصهُ عند اشتداد المحنة. وقد ذكر مثل ذلك عن الزبّاء ونحوها. وقد بسطناها لقرّاء المشرق حبًّا بالفائدة واستلفاتًا لانظارهم لهذهِ الرواية وابداء لرايهم فيها الاب انستاس الكرملي

جواب المشرق

وقد ورد في كتب كثيرٍ من الادباء تفاصيل في اسم البرامكة ألا انّ الآراء متضاربة في شرح اصلهِ

فالرأي الاوّل ولعلّهُ الصواب انّ اسم برمك عَلَم من اعلام الفارسيّة القديمة او البهلويّة والدليل على ذلك انّ لاجداد خالد البرمكي اسماء اعجمية من صنفهِ. وكان خالد ابنًا لبرمك وبرمك ابنًا لجاماس وجاماس ابنًا ليوستاشف كما روى في نسبهِ ابن خلّكان في ترجمة جعفر البرمكي

والرأي الثاني ذهب اليهِ المسعوديّ وهو من آل التنقيب والبحث. قال في معرض كلامهِ عن البيوت المعظّمة والهياكل المشرّفة (في الباب الثالث والستين من مروج الذهب (١)): «والبيت الرابع هو النوبهار الذي بناهُ منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر وكان من يلي سدانتهُ تعظّمهُ الملوك... وكان المعظّم الموكل بسدانتهِ يُدعى البرمك وهذه سمة عامّة لكل من ولي سدانتهُ ومن ذلك سُمّيت البرامكة لانّ خالد بن برمك كان من وُلد من كان على هذا البيت»

والرأي الثالث رواهُ ياقوت في معجم البلدان (٢) عن عمر بن الازرق الكرمانيّ قال:

١) طبعة باريس الجزء الرابع ص ٤٧ و ٤٨ (ed. Barbier de Meynard) ٢) طبعة

«كانت البرامكة اهل شرف ببلخ قبل ملوك الطوائف وكان دينهم عبادة الاوثان فوُصفت لهم مكّة وحال الكعبة بها . . . فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام ونصبوا حوله الاصنام . . . وكان له خُدَّام وقوّام وسَدَنة . . . وكانوا يسمّون السادن الاكبر برمك لتشبيههم البيت بمكّة يسمّون سادنهُ «ابن مكّة» فكان كلُّ من ولي منهم السدانة برمكاً»

فينتج من هذا القول انّ «برمك» صورةٌ اخرى «لابن مكّة» فيكون الاصل من كلمتين سريانيّتين ܒܪ من ܒܪܐ معناها الابن و ܡܟܐ علم مكّة

امّا ما ذكرهُ آنفاً حضرة الاب الفاضل الاديب من اصل هذا الاسم فلا نظنّهُ يجاوز اقاصيص العامّة وحكاياتهم الفكاهيّة ل . ش .

أسئلة وأجوبة

س نرجو ان تفيدونا عن السبب الذي من اجله لا يصوم الشرقيّون في الصيام الكبير يومي السبت والاحد ص . ح .

ج ان الامتناع عن الصوم في السبوت ما عدا سبت النور هو عادة قديمة في الكنيسة . وقد ورد ذكرها في المجموعة المسمّاة قوانين الرسل وفي كتابات القديس ايفان والقديس يوحنا الذهبي الفم . فالقانون ٦٦ من قوانين الرسل يحكم على الاكليركي الذي يصوم في يومي الاحد والسبت ان يُعزل من رتبتهِ وعلى العامّي ان يُحرم

وقد علّل القديس ايفان هذه العادة في كتاب الهرطقات في معرض كلامهِ عن الهرطقة ٤٢ حيث قال : ان المرقيونيين وغيرهم من الهراطقة قرّروا صوم السبت حتى يتميّزوا عن اليهود الذين يكرمون هذا اليوم . امّا الكنيسة الشرقيّة فخشية ان تبدو منها موافقة لهؤلاء الهراطقة رسمت الامتناع عن الصوم في السبت

ولما ان بادت تلك الهرطقات شرعت اكثر الكنائس خصوصاً الغربيّة تصوم السبت كما يتّضح من تحديدات الحق القانوني (الصفحة ٦٢ من المجلد الاول) واستمرّت بعض الكنائس خاصةً الشرقية تابعةً للعادة القديمة . ولم تخطّئها الكنيسة الرومانية في ذلك . فقد ورد في مرسوم البابا بندكتوس الرابع عشر المبدوء Etsi pastoralis ما ترجمتهُ : في الايام غير الاربعينية

ليبسك المجلد الرابع ص ٨١٦ (ed. Wüstenfeld)

يُسمح لليونان بأكل اللحم في السبت ويكن في بلادهم وما بينهم فقط . اللهمَّ اذا لم ينتج عن ذلك معثرة

اما العادة العمومية عند الشرقيين والغربيين في الامتناع عن الصوم يوم الاحد فلإكرام يوم الرب الذي هو يوم فرح وابتهاج والحصول على شيء من الراحة . وقد ذكر هذا السبب الاخير القديس يوحنا فم الذهب عند شرحه وجوب الامتناع عن الصوم يومي السبت والاحد فقال في ميمره الحادي عشر على سفر التكوين ما ملخصه : ان ايام الآحاد والسبوت هي كمنازل يحطّ فيها المسيحي للراحة في مراحل الصوم الشاقة وكموانئ تلجأ اليها السفن بعد مقاساة اهوال البحر

ولكن اذا اعتبرنا ان يوحنا فم الذهب تكلم وقت كان المسيحيون لا يأكلون في الصوم الاربعيني الّا اكلة واحدة عند الغروب وانهُ في عصرنا قد اضحى الصوم امرًا خفيفًا لا مشقَّة في حفظه تحققنا ان الراحة في يوم السبت لم تعد ضرورية . وعلى كل حال ليتبعنَّ كلٌّ طقسه فلا تثريب عليه في ذلك ولا حرج

على ان تحقق امّنا الكنيسة من شأنه ان يحدو بابنائها على ان يحتموا باوفر نشاط ما تفرضهُ عليهم من الصيام وتلزمهم به بعد ان رفعت عن عاتقهم ما هو شاقّ في حمله ٠ا٠ص٠

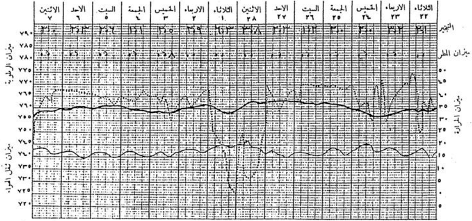
س بعث الينا مشتركو مجلّتنا في المتين يسألوننا الافادة عما اذا كانت السنة ١٩٠٠ كبيسة او لا وهل يبقى الفرق بين الغربيين والشرقيين ١٢ يومًا ام يصير ١٣ يومًا

ج فنجيب ان السنة ١٩٠٠ تكون كبيسة بموجب الحساب الشرقيّ لا الغربي وهكذا يصير الفرق ١٣ يومًا . وقد استوفينا شرح هذه المادة في ملحق ذيّلنا به كتاب مختصر الدول وتكلمنا فيه عن اصلاح الحساب اليولي بالحساب الغريغوري . وقد طُبع الملحق المذكور ايضًا في كراريسة على حدة . فلتراجع المسألة هناك وليس في فهمها صعوبة ٠ا٠ص٠

ملاحظة

قد شكا الينا كثير من المشتركين لاسيا في حلب وبغداد لعدم وصول بعض اعداد المشرق الى ايديهم او تأخُّرها عن موعدها مع انَّ الادارة قد ارسلتها في وقتها ولا شكَّ انَّ الخلل واقع من مأموري البوسطة فالامل من أُولي النظر ان يتلافوا هذا الامر

قائمة للآثار الجوّية من ٢٢ شباط الى ٧ اذار ١٨٩٨



انَّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخط الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) — امّا الخطّ المنقّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة — وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالسنتمترات وعشر السنتمترات